

أعلام الإسلام

سلسلة تصدر
مرة كل شهر عربي

(٨)

جمهورية مصر العربية

وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية



جمال الدين الأفغانى

الحكيم الشاعر

د. محمد سلام مذكور

القاهرة

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

أعلام الإسلام

سلسلة تصدر
مرة كل شهر عرس
(٨)

جمهورية مصر العربية

وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

جمال الدين الأفغانى

الحكيم الثائر

د. محمد سلام مذكور

القاهرة

جمادى الأولى ١٤٢٦ هـ - يونيو ٢٠٠٥ م

يشرف على إصدارها

الدكتور / محمود حمدي زقزوق
وزير الأوقاف

ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الدكتور / عبد الصبور مرزوق

نائب رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية



«احفظوا المال فإنتم إليه أحوج، إن الليث لا يعدم فريسته
أيّما ذهب».

«جمال الدين»

«يخيل إلى من حرية فكر السيد جمال الدين الأفغاني وثبالة
قيمه وصراحته وأنا أتحدث إليه، أتشأ أرى وجهاً لوجه أحد من
عرفتهم من القدماء الفلاسفة، وأنى أشهد ابن سينا أو ابن رشد،
أو أحد أساطين الحكمة الشرقيين الذين ظلوا خمسة قرون
يعملون على تحرير الإنسانية».

«ريشان»

الفيلسوف الفرنسي

تسوية الزعم الجيد

مقدمة

دفعني ما يجري الآن في الشرق من الحركات الوطنية المشابهة
الفرس، والمتحدة الفاية إلى دراسة الكثير من تاريخ الشرق الحديث
لأتعرف على بعض الأدوار التي تحرك فيها الشرق ضد الاستعمار،
وأتبين مقدار ما وصل إليه من تلك الحركات القوية العنيفة.

وكان لزاماً عليّ وأنا بهذا الصدد أن أبحث في حركات الشرق من
الفاحية الدينية، والسياسية، والاجتماعية، وتغير عن هذا بكلمة
مختصرة عامة، ولتكن: النهضة الفكرية في الشرق.

والبحث عن النهضة يتطلب البحث من منشئها لأن النهضة في
الشعوب والأمم وليدة تفكير الفلاسفة والمصلحين، وصفوة خواطهم،
وزبدة تجاربهم، وجنى ثمرتهم.

وإذا كانت النهضة في العالم جديدة والبحث خليفة بأعمق الدرس،
فمن الخطأ أن لا تحيط بتاريخ أولئك الأعلام، لأن الوقوف على سيرة
أولئك النوابع كاملة مستوفاة، والإحاطة بتفاصيل حياتهم محللة
مستقصاة ليست دون ذلك شيئاً ولا أقل منه نفعاً، إذ هي المنهاج الواضح
للتأصيل حياتهم، والمفتاح الصادق لمفاتيح أفكارهم، والدليل البين في
غامض معانيهم، والبرهان الساطع في بيان مراميهم، بل تتبع سير

المصلحين هو الشطر الأتني من شطري آثارهم. والدائرة التي فيها محور جميع أعمالهم، وحياتهم هي الجديدة بأن تكون محل دراسة وتحليل، وبحث وتمحيص. فهي أحفل بالعبر الناطقة، والعظات البالغة، والأمثلة الحسنة والقذوة الصالحة من دراسة آثارهم.

وتاريخ الإسلام يزخر بتيار حافل من رجالته العظام الذين تركوا على ظهر الحياة آثاراً خالدة في شتى العلوم والفنون، والسياسة والاجتماع والأدب، وكل شأن امتازت به الإنسانية هي أدوارها التي مرت بها، وأدركها عليها الإسلام.

فلو عني المسلمون بدراسة تاريخ عظمائهم دراسة تحليلية ليتبينوا منها مواطن العظمة لأخرجوا للناس تاريخاً حافلاً بشتى نواحي الشجاعة، والحكمة، والسياسة، والحنكة، تعجز الحياة عن رؤية مثله عظمة وجلالاً.

لهذا اشتد حرص الغربيين على التقيب عن أخبار الذين مضوا من جهايزة الكتاب، وأعلام الفلاسفة، وأساطين الحكمة، وظهر تناقضهم في تحليل الشخصيات الكبيرة، وكتابة التراجم عن زعمائهم ومصلحيهم، وتعرف كل دقيقة وجليلة عن سير النابغين من أبناء أمتهم وغيرهم.

أما نحن معشر الشرقيين فلا نكاد نعرف من زعمائنا - رحمهم الله - ولا عن قادتنا الأبرار إلا النادر الذي لا يسمن ولا يغنى من جوع. بل الكثير منا يقرأ الكتب والمؤلفات العديدة في مختلف العلوم للفلاسفة والمبشرين كابن سينا، وابن رشد، والغزالي، وغيرهم من العلماء .. ولا يكاد - مع الأسف - يعرف عن تاريخ أصحابها شيئاً.

كذلك نعرض أسماء عظمائنا، ونذكرهم بالفخر، والإعجاب عند كل حركة سياسية، أو ظاهرة وطنية. وجلنا لا ذرية له بأطوار حياة هذا الزعيم وذلك القائد وذلك الإمام. وما اكتشفها من مشقة وهوان حتى

أصحاب المذاهب الإسلامية لم تكن لنا عناية بأمرهم ولا حفل بشأنهم مع أننا أحوج ما نكون إلى ذلك في اتخاذ المثل والتوجيه الصحيح.

ولم نذهب بعيداً وهذا جمال الدين الأفغانى الذى نحن بصدده الآن نذكره فى مطلع كل ناحية من نواحي نهضتنا، ونعترف له بالفضل فى تحريك نفوس المصريين بل الشرقيين إلى النهضة، وتطلمعهم إلى الحرية. وقد كنا إلى وقت قريب لا نكاد نعرف عن أدوار حياته شيئاً. ولا يكاد يوجد عندنا فى كتب المؤرخين الشرقيين إلا أسطراً أو صفحات معدودة عن حياته.

ولقد بلغ من اهتمام الغربيين بمعرفة تاريخ العظماء والنبلاء أن كتبوا عن السيد جمال الدين الشىء الكثير ضمن كتاباتهم، وهذا تقدير منهم للمصلحين والمجددين يقابل بالشاء والإعجاب، نود - نحن المصريين - أن توجد فينا هذه الروح الطيبة ونقتدى بهذه القدوة الحسنة حتى نظفر بأمانينا، ونمشى قدماً إلى المجد جنباً إلى جنب.

كل هذا دفعنى منذ عهد الطلب إلى أن أتجه بهمتى، أقتطع من وقت الطلاب المشغول بالدرس والاستذكار جزءاً قليلاً من عمري لهذه الناحية. فأخرجت أول ما أخرجت سنة ١٩٢٧م كتاباً عن شخصية ذات أثر خطير فى توجيهنا وتوجيه الشرق والمسلمين فى العصور الحاضرة إلى الثورة المارسة على كل ضعف وتحلل، واختلاف وتشعب. ألا وهو السيد جمال الدين الأفغانى، باعث النهضة الفكرية فى الشرق، وأستاذ مدرسة التحرر. وكان هذا أول كتاب مستقل ظهر عن السيد جمال الدين الأفغانى باللغة العربية.

ولما كان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية قائماً بأكبر قسط فى نشر الثقافات التى توفق الوعى، وطلب المشرفون عليه مشكورين أن أسهم

نضمي معهم راسب أن يكون أول ما أقدم به هو أن أجد عهدي بالسيد جمال الدين الأحماسي فأخرج للناس ريد ما كنت حسدك في مقدار يتناسب مع الرسائل التي يخرجها للجلس، حتى يوفني الله فأخرج عنه كتاباً شاملاً لأصناف ما كتبه من قبل وخاصة في مواد عدة نرى لا يعورف أكثر من إعادة انظر فيها بحسن التمسق والترتيب ومن المعجزة يتحدث المرء عن السيد جمال الدين ما وسعه الحديث فالتحدث عن تاريخ هذا الصليبيون الحكيم بشرح المصدر ويعبر النفس بالشرح ولا عجب ونحن استطع أن نرسم هنا صورة مصغرة تعطي براء هذا الموحى فكره عن حكم الشرى نوضح له بعض ما كان عليه من الصفات السيلة والأعراف الحكيم

جمال الدين شهيد في يهوه الشرق ويطعمه إلى الحرية فقد ظل مشرق ريد طويلاً يروح تحت تير العبودية ويرسف في إعلان الاستعمار فيما جاء (السيد جمال) نفع فيه روح البصيرة وأهبط بالأمم الإسلامية في صرح ذلك الحمود الفكرى وتلك الأوهام التي ليست في الإسلام هي شيء وأنت كنت سبياً هي تأخر المسلمين فكان شأن جمال الدين في إنجابه الدينية مثل شيء «مرن نوثر» هي اسميت المسيحية وكان شأنه في إنجابه الفكرية كشأن «جان هانك روسو» وعبره من هالامه الفكرى وكان شأنه في السبسة وتحريم البلاد من يد العاصب مثل شأن «واشنطن» محرر أمريكا، و«ماريس» محرر إيطاليا وغيرهما من رجال السياسة

والحكمة كس لجمال الدين هي كل بحسنة من بواحي لأصلاح والتجديد أثر ظاهر وهصل لا ينكر

هو زعيم إسلامي مثله ليجدد للإسلام حياته التي كانت ر جزء

في عهوده الأولى، ويكون هذا «صديق شهود على قلوب ليسى عليه السلام» إلى الله تعالى يبعث لهدى الأمة على رأس كل مائة سنة من يحدد لها دينها،

فقد كان أول المحررين هي «الفرز التاسع عشر الحكيم العبد» و«صديق العظيم والجاهد الكبير» و«الشاعر العظيم جمال الدين سيد أسدي» و«مير الخطابة واليهب هيلموف الإسلام» و«أية الحق القاهرة وحجة الشرق الناهضة وكوكب الإصلاح الذي ظهر ساطعاً في «هاق الشرق بعد س كس في ظلام حائل» وقد شهد به كثير من الناصحين من الكتاب «العربيين» هذا (هيري روشمور) الكاتب الفرنسي الشهير يقول في كتابه «محررات حياتي»

«السيد جمال أسدي من سلالته التي و«لعبد هو أيضاً أنه أشبه ليسى ثم قال ليسى شعرت نحو هذا الرجل بعاطفة الحب التي أجدها تربطني بكل داع إلى ثورة أو عقوم لسيطة»

المؤلف

مولده

«محمد جمال الدين» بن السيد «صفيتر» ولد سنة ١٢٥٤هـ سنة ١٨٣٨م وقد تصاربت الرويات، واحتلف المؤرخون في مسنه ومستقط رأسه.

هم من قتل إبه هارسي من إيران ولد بقرية «همدن» وإنما رحل إلى الأهواز وانتسب إليها لظهور بظهر المسمى لا لشعبي ويشخص من وفاة الحكومة الإيرانية لرعاياه في الحارح ولقد تمسك الإيرانيون به. وحديث العالم الكبير الأستاذ «عبدالكريم الريحاني» ككبير رجال الشيعة حينما رآه مصر في عام ١٩٢٧م «هذا وصديقي محلي من عليّة انقوم مع «مروا مهدي دهيج مشكي» ونحادثنا عن سيرة جمال ثم حرّفاً، تحديث إلى بنته التي ولد منها هاشت من أنه إراني من «همدان» وأطلعني على بعض رسائل من اقارب السيد يثبتون هيه انه إيراني

والكثير من كُتّاب التاريخ والأدباء الذين كتبتوا عن جمال الدين ذهبوا إلى أنه «عمامي من قرية «سعد آباد» التابعة لمركز كتر من أعمال «كابل» عاصمة الأفغان، وهذه هي الرواية التي اعتمدها تلميذه وشريكه في النص والاصطهاد الأستاذ الإمام (محمد عبده) في صدر رسالة (الرد على الدهريج) وقد ذكر أمير آستان «شكيب أرسلان» في (حاضر العالم الإسلامي) انه لقي في المدينة قبل الحرب العالمية بأشهر أحد ولاء «عالمستان» (السيد حميد) من سادات «كتر» المشار إليهم بالبيان وعلمت

منه أن السيد جمال الدين متهم، كما أني سمعت ذلك من جميع رجال
 الدولة الأفغانية وسفرائها الذين جمعنا بهم المذاكير في أوروبا
 ومن العجيب أن يختلف المؤرخون في مولده ومبسط رأسه مع عظمته
 وعلو شأنه يقول المستر «لست» في (كتابه التاريخ لسرى) ص ٧٧
 «السيد جمال الدين الأفغاني» لم يتجاوز بحاوييه لعائلة قبل حضوره
 إلى مصر دائرة آسيب المتوسطي. وهو افغاني المولد وتلقى تربيته الدينية
 في «بخاري»

ويقول «شارلر آدم» في كتابه الإسلام والتجديد
 «ولد السيد جمال الدين في «أسعد آباد» بالقرب من (كابل)
 أفغانستان»

ويقول «جورجي زيدان» في كتابه ومشاهير الشرق) ج ٢ ص ٥٢
 «السيد جمال الدين (بن أسعد صمتر) ولد بيت شرف وعلم بقرية
 «أسعد آباد» من قرى كثير من أعمال كابل ببلاد الأفغان»

ويقول شكيب أرسلان في (حاضر العالم الإسلامي) ج ١ ص ١٩٩
 «هل جمال الدين الأفغاني مولود في أفغانستان؟ أم فارسي مولود في
 همدان كما ذهب بعضهم» ورجح أنه أفغاني.

ويقول عبد الرحمن الرافعي في (تاريخ الحركة القومية عصر
 اسماعيل) ج ٢
 «ولد المترجم في أسعد آباد إحدى القرى البعيدة بكنز من أعمال كابل
 عاصمة الأفغان».

ويقول السيد رشيد رضا في كتابه (تاريخ الإمام) ج ١ ص ٢٧
 «ولد السيد جمال الدين في قرية أسعد آباد من قرى كابل واسفل
 ينتقل أبوه إلى مدينة كابل»

ويقول محمد عنده في صدر رسالة (الرد على المنهيين)

«السيد جمال الدين من بيت عظيم في بلاد الأحمان، والى هذا النسب
عشيرة وأهرة العدد تقيم في حلة كثر من أعمال كابل بعد عنها مسيرة
ثلاثة أيام»

ويقول براون في كتابه (الثورة العرسية) ص ٢٢٢

«بن جمال الدين أراد أن يعرف أنه أحمسي لينهل حشوه في دهره
استبح من لسمعي ولتخلي عن تحمايه الفارسية التي كان يشك في
هيئتها»

والرواية الفارسية نذهب إلى أنه ولد في قرية بهذا الاسم «سعد
آباد» بالقرب من همدان هي «أير» وأسس في تصنيفه الانتساب إلى
عفاستار لا يمكن الحوص فيه إلا بطريق الحدس

ويقول «مصطفى عبد الرزاق» في صدر العروة الوثقى

هل جمال ولد في «سعد آباد» من قرى «كفر» من أعمال «كابل» من
بيت عظيم في بلاد الأحمان؟ أم هو قد ولد في سعد آباد قرب همدان
من أعمال فارس وتعلم في مدينة قزوین ومدينة طهران ثم سافر إلى
الأهمل وأسس «أحمس» كما يرسم أهل السنة أم أن والده من
هالن «مارند» إحدى ولايات إيران وكان صديقا في الجيش الإيراني
وهذه حكومته إلى بلاد الأحمان لمعة قطعت له السكنى هناك وتزوج
وولد له جمال الدين أو ولد له في إيران وأحمس معه صغيراً؟

والذي يبدو لي في منشأ هذا الخلاف أن الارتباط الوثيق بين الأحمس
الإيرانية والأهملية، والتجاوز الذي ساعد على تداول المصالحح ارتداد
الأسر بعضها بعض هو الذي جعل المؤرخين يحتكمون في مستطد رأس
السيد جمال الدين وهم منصفهرون على أن السيد جمال الدين من
أسره عربية ينتهي نسبها إلى سلالة النعمي بكرم ﷺ

كعما إلى اعتقاد أنه اغتال من «اسعد آباد» وإن له صلة بسبب
 الآثار بين مما جعل المؤرخين يختلفون فيه وإنك ما قاله السيد جمال
 الدين نفسه في كتابه «نقطة الدين في تاريخ الأفعاف»
 «الحق أن هذه الأمة من أصل إيراني وأن سنانها مأخوذ من نسل
 «زوندواستان» وهو النسل الساساني القديم وله مشابهة تامة بالعربية
 المستعملة الآن، وإن متأخري المؤرخين «كمراسين لوهريان» وغيره
 يؤمنون بهذا الرأي

على أنه من المستحسن أن «البلاد تتهاهب على صنم عظيم لها مستندة
 على أقل صلة لتكون لها من المحار والشهرة ما يجعلها تعتبر به على
 سائر الأقطار

ومهما يكن من تاريخ جمال الدين هل أن ساني مصر يكاد يكون
 عامضاً إلا ما رواه جمال الدين عن نفسه، أو ما تلقفته الأدب من أهل
 فارس وأفعاف، وذلك لأن الشرفيين في عهد ركود النهضة لم يعوا
 بدوين تاريخ عظمائهم، ولم يقدروا لهذا العمل قدره ولكن صفحاته من
 يوم أن وطئت قدماء رص مصر بينة ظاهرة لا عموص فيها ولا حمراء
 ولا تعيب بعدد، أن يكون السبد من إيران أو من أفغانستان لأن هذا
 الأمر لا أثر له في حياة الحكيم، وليست هناك نتائج يتوقف على إثباته.
 كما أن جهاده وعمله في الحياة بدأ بعد أن عازر بغداد واتجه إلى مصر
 فنهض بواقف الإيرانيين على أنه إيراني وبواقف لاهعانيين على أنه هعاني
 وبواقف كل من يحطبه لنفسه بأنه منه فهو من بلاد الإسلام، فالإسلام
 وطنه وهذه دعوته التي قصي حياته فيها

نشأته

نشأ السيد جمال الدين من أبوين فقيرين إلا أنهما كانا يستمريان إلى أسرة من أشهر البيوت في شرف السب وهو الحبيب حيث ينحدر نسبهما (بالترمذي) المحدث ويرتقى إلى (الحسين بن علي) رضي الله عنهما، فهو من الأشراف المنتمين إلى الدوحة النبوية

نشأ في عاصمة أمة عزيزة النفس، شديدة الأسس لم تذلل لحكم ولا لأجنبي وهي تعظم آل البيت النبوي وتتعلق به - نشأ في حكومة كانت د مقام كبير في بيت مدينتها، وركناً من أركان الرعامة لأحد النوازل لحكم فيها وهو الأمير «محمد أعظم»

وقد كان لأسرته مقام عظيم في السياسة والسيادة إذ استقلت بالإمارة على جزء من البلاد مدة طويلة حتى عهد «دوست محمد خان» أمير الأفغان الذي استرجع منها الإمارة وأمر بنقل أسرته جمال الدين إلى كابل، وكان جمال حينئذ في الثامنة من عمره فأخذ يتلقى العلم في مدرسة محمية، وظهرت عليه أيام تلميذه محيل الدكاء ونشأ اسطورة وبهذه التوجيه هبرع في علوم اللغة العربية، وفي لتاريخ العام والخاص، وتعود في الكتابة والإنشاء، العربي وعلوم الشريعة والفلسفة والرياضة والمطلق ونظريات الطب والتشريح

وليس بعريب أن يقول إنه برز في العلوم الحربية فقد قدل عنه المستر «جورج كوثشي»

أن جمال الدين قد استرعى الأنظار منذ حداثة سبه بذكائه لبار وميله الواضح إلى كل ما له صلة بالعلوم العسكرية.

ويم يتقن الحكيم بكل هذا بل امتدت رغبته في العلم والبحث حتى عادر الأقطان داهباً إلى الهند مستهيناً بكل ما يلاقى من عناء ومشاق وقد مكث بمهند سنة وبضعة أشهر أصاب أن عومه وصغارهم ما درسه من العلوم على الطريقة الأوروبية، وتعلم الانجليزية - كما تعلم الفارسية والتركية من قبل - وقد تلقى لسيد جمال الدين الفلسفة العربية القديمة والحديثة حتى استطاع أن يكون له رأى خاص في العلوم العقلية وعلم النفس والأخلاق، وعلم الوجود والتكوين ولقد تزعزع جمال الدين وتكون بين أحضان كتب افارالى وابن هتية، ويظهر ذلك أن يطالع كتاباته في المعرفة والتقى وانود على الدهريين.

على أن لسيد جمال كان يسهر لفرص التي تمكنه من الانتقال إلى مدن الهند وزيوعها متعرفاً أحوالها مستطعاً أخبارها، إذ كان يعمل البقاء في مكان واحد لأنه يصعب مهال إلى الرحلات والاسفار واستطلاع أحوال الأمم وجماعات ودرس أخلاق الشعوب

وبدأ لجمال الدين وهو في الهند أن يذهب إلى الأقطار العربية ثم إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج فخرج إليها مستقلاً من بلد إلى آخر في بحيرة عربية ليتعرف أحوال البلاد وعادات أهلها ويكشف عن أخلاقهم، مما اكسبه خبرة هيام بعد بأحوال الأمة العربية، وظل في نقله وترحاله حتى وصل إلى مكة سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٢م) بعد سنة من قيامه من بلاد الهند.

وقد كانت فكرة الجامعة الإسلامية محبوسة في نفسه ولم ير موضعاً خصص لإنشائها سوى بيت الله المقدس حيث تجمع الألواف العديدة من مسلمي الأقطار كافة، فوجد شافق فكره أن هذا أكبر

مؤتمر إسلامي يمثل تمام التمثيل يستطيع أن يحضر أممه بدعوته ليكون لها صدق في قلوب المسلمين. فلا يثبت أن يظهر اثره سريعاً في الأقطار الإسلامية جميعها هم يروح بلاد الحصار قبل أن يسمع لدعوته عرضاً طيباً. وينصّب في طورها أعمى لإنشاء جمعية يمثل فيها كل قطر إسلامي تسمى جمعية «أم القرى» كانت أشبه بمرغان إسلامي كبير. وقد أصدرت الجمعية مجلة باسمها. وقد كان لهذه الجمعية هيبة بعد شأنها. وحظرت وكانت أول قبيلة يصنع جمال الدين في وجه بلاد العرب الجشعة

وبعد أن أدى السيد جمال هريضة لحج وبعد أن درس بلاد العرب وبلاد الهند دراسة وافية وبعد أن تعرف أحلاق وعادات وعظم تلك البلاد وبعد أن ترك أثراً جالداً في بلاد الحجاز عاد إلى أمهاتين مكان بيانه وموضع غرسه عاد إليها عاداً حليلاً، فاحتضنه حكومته وصمته إلى سنكه. وكان أمير البلاد «نوست محمد خان» قد أعد الأمير عدته وأخرج جنوده لمحاورة (هزام) أحد السيد جمال معه في معيته.

حاصر الأمير (هزام) ليمتحنها ويصكه على سلطان أحمد شاه صهره وابن عمه، ولأزمة السيد جمال هذه الحصار إلى أن تولى الأمير وهنحت المدينة بعد معاناة الحصار رماً طويلاً وتقلد الإمارة ولي عهداً «مير علي خان»

ولقد وصل السيد جمال إلى منصب كبير الوزراء في عهد «محمد أعظم» وهو لم يتجاوز السابعة والعشرين حينئذ. وارتفعت مرتبته في نفس الأمير. وعظمت ثقته به. فكان واحداً إليه في العظمى وما دونه على خلاف ما تعود أمراء تلك البلاد من الاستبداد المطلق وعدم التعويل على رجال حكومتهم. وكانت تخلص حكومة لأحمد «محمد أعظم»

بمدير السيد جمال الدين لولا إسهاد الأمير شتون الحكيم إلى أسائه
الأحداث وهم حلوا من التجربة

لم يرق إنجلترا هذا النظام الذي صار عليه محمد أعظم، وهذه
المنطقة الواسعة التي ستخدمها هي ترهبة جمال الدين وقد رأت فيه ما
يرجع الاستعمار من المصير منه وثبتت فيه روحاً حرة وثابة، فعملت
كمعادنها على تغيير الجو بنسب لدماس وشتر الدعايات ضد «محمد
عظم» ولم تكن بهذا بل حرصت «شبر على» على محاربة أخيه وقد
أمدته فعلاً بالميرة والدخيرة، والمال والسلاح حتى استمر «محمد
عظم» إلى الزمن ومات بعد أشهر في (سماور)

وبقي السيد جمال الدين في كابل يكافح الدماس ويكشف
المؤامرات التي تدبر لاعتقاله وكان عظيمًا في محبته، ثابتًا أمام
العواصف التي تزعزع ضم الجبال وتلك وأيم الله لبارحة من يوازح
القوة وظاهرة من طواهر النفس العظيمة.

نعم لم يكن السيد جمال الدين قد لاقى الأهوال في هذه الفترة التي
حُمي فيها وطنه لحرب وظهرت فيها مكائد العدو فإنه قد أسماذ من
هذه الحرب الحيرة القوية والشعاعية الحديثة هضلاً عن كشفه سياسة
إنجلترا، وأساليب الدس والتصديق التي عرفت بها وقد أثارت تلك
لأساليب السياسية التي كانت موجهة ضد «الحرب» ما كان يكته جمال
الدين في نفسه من لعداء والتمسك للاستعمار ودوله فأخذ يست في
الشعب الأهمى ميادئ الوطنية وروح الحرية، مما ألب عليه الأمير «شبر
على» الذي كان يصور له الأعداء من حبي تولي لإمارة إلا أنه كان لا
يحب لظهور بها لمكانه جمال الدين في نفس الشعب ومحامه هياح
العامة صده فأحتال للعدو به.

له شعر جمال الدين بما يدر له من الحياء استأنس الأمير من الخروج من البلاد منظرهراً أنه يريد الحج فذر له

فترك المدد جمال الدين لبلاد «الشير علي» وعودته الإنجليز دهباً إلى الهند - عهد ثقافته وعلمه - للمرة الثانية بعد هزيمة «محمد اعظم» بثلاثة أشهر سنة ١٢٨٥هـ (وأحر سنة ١٨٦٩م، فقبول من الحكومة والأهالي بالحمادة والإكرام، إلا أن الحكومة وجدت فيه نصيباً متعدياً على الاستعمار ودوله بما بينه من النفوس من الدعوة إلى الحرية

ما كان حاضراً على الإنجليز عداء السيد جمال لسياستهم وما ينتج بشأنه من الهند من إثارة النفوس، وخاصة لأن الهند كانت لا تزال تصطدم بالمش إثارة ثورة سنة ١٨٥٧م ولم يكن يحسن عليها أن هي دروسه واجتماعاته دائماً هوية ثورات، ومحرقة عطية لما كمن في النفوس له منعت الحكومة من دروس الدين والسياسة، ووضعت على احتفائه رعاية واستندب به فحسب به الحق سبب من كل جانب استاء جمال الدين، وتأنى من تلك المطاردات

وهل يؤلم أكثر من أن يستبد بك من يسعى لتعصيف واضلهم، واستعمل للإصلاح والعدالة؟! ولكن هذه هي سنة الله في خلقه

ولهذا تجد أن دعاة الاستعمار بطاردون رجال العلم ويتكلمون بهم بالشعبيتهم منهم من يمكن من مهاجرة دياره وهذا سبب من أن كل الأشياء عندهم السلام وأكثر التعبد والأعلام والأدياء تنفصو هي اسلاد وماتوا عرياء».

حال هذا نحاضر جمال وحاول أن يتغلب على ضيقه ويخلص لث دعوته ويكن قوة يستبد تقف هي وجهه لتحويل بيته وبين أسببه

وتم يعرض على مقام جمال اندس في الهند أكثر من شهر حتى صافى الحكومة به درجا فوهدت إليه مبدوناً وكان عنه كبار العلماء و عظماء فحاطب جمال الدين هانلاً في الحكومة الهندية كدست شملت معكم بلقاهه نحو اشهرين ولكنها اذت من حالة البلاد لا تساعد على بقائكم أكثر مما مكثتم فزار الحضورون من يحتجوا على هذا الامر فسمعهم جمال الدين وقال :اسى ما أنيت إلى الهند لأحيى حكومة بريطانيا العظمى. ولا أنا على استعداد اليوم لأحدث شعباً عليها. ولا تمد شيئاً من أعمالها ولكن تحوها من رائر أعمال مثلى. ومصادرها لرائرس هم اصعب من تسجل عليها وهى غريبتها وصعب شوكتها وقلة عديها. وعدم أمنها من حكمها. وأنها فى حقيقه حكمها بهذه الأقطار الشاسعة الواسعة اصعب بكثير من شعوبها. ثم التفت إلى رائريه وقال :يا أهل الهند. وعرة الحق وسر العدل لو كنتم و يتم بعدون بمئات الملايين «ديباً» مع حاميتمكم بريطانيا ومن استخدمتمهم من أبائكم فحملوا سلاحها فقتل استغلاتكم واستغدر ثروتكم وهم بمجموعهم لا يسجاوزون عشرات الأنوف لو كنتم أنتم مئآت الملايين كما قلت «ديباً» لكان طيبكم يضم ادس بريطانيا ويجعل فى أدس كبيرهم وفرأ. وبو مسحكم الله فجعل كلاً منكم سلحة وحصنتم انحر وأحطتم بحريرة بريطانيا لحررتموها إلى قاعه وعدم إلى هندكم حرراً.

فما أتم جمال كلامه حتى أدرك الحضورون الدموع فقال :و ذاك بصوت مريمع :«اعلموا أن المكاء للنساء. ولا حياة لقوم لا يستقبلون الموت فى سبيل الاستقلال بفخر باسم. وبهم مسرعاً مع رحل الحكومة لكن يذهب معه حيث شاء فقال له مهلاً إلى فموسع سمرق عدأ قال جمال الدين :إلى أين تريدون أن أذهب فقال إلى

حيث نشاء بعد أن تخرج الهند ومع هذا فقد ابتدوه في الصباح على إحدى بواخرهم إلى السويس كي لا يخرج من طاق سيطرة الانجليز ولا يمكنه ان يخرج من قبوهم

وصلت الباحرة التي نزل بها السيد جمال إلى السويس في أوائل سنة ١٨٧٢م أو أواخر سنة ١٢٨٦هـ ومنها سافر إلى القاهرة وم يمكث بها إلا أربعين يوماً استطاع فيها بقدرته العجيبة وذكاائه المصطف أن يتعرف الكثير من عادات المصريين وأخلاقهم وسياسة بلادهم لداخلية، وقد تردد على الجامع الأزهر خلال هذه المدة وتقدم إليه كثير من الأساتذة والطلاب، واتصل به جمع عظيم من غية القوم وأصحاب الكلمة

وقد ذكر الإمام محمد عبده لتلميذه السيد رشيد رضا أن الذي أحسره بعدوم السيد جمال هو أحد طلاب العلم السوريين في رواق الثولام قال إنه هدم معبر عالم الهداني عظيم وهو يقيم في حارة الحمصى مشروب بذلك وأحموت الشيخ حسن الطويل ودعوه إلى ريارته معى في صباه يعمشى هو وحده بو تراب هدمه إلى الأكل معهما فاعتدبه فطمس سألنا عن بعض ثبات الشرايين وما قاله المفسرون والصوفية فيها ثم يصرف لنا، فكان هذا مما ملأ قلبي إعجاباً وشغفياً به حياً.

وكان في بنة السيد جمال السفر إلى البحار والافاقية به يبرى عرسه وينشر عمل جمعية (أم القرى) التي أسسها عند ريارته الأولى لطحاز ويتمتع بذلك الجو الجمالى من دس الأخفى ويقيم بالبحرية العامة في بلاد أميت عمارت المستعمرين وطمع الطامعين وأطمأنت على نفسها من هجمات الأعداء بما وهبها الله من الحصون الطبيعية التي تحمى عنها يقول الجشعين. فضلاً عما كان يرد في هذه البلاد من نمو دعوته ودوعها من المسلمين عامة في هذا البيت العتيق المدمر.

وسبما هو بعد عدته للسهر إلى الحجار إلى بالحليمة يسدعيه إلى
 الأستبة لما وصل إلى مسامحه من مكانة السيد وعلو شأنه بين المسلمين
 ولما عرف عنه من الميل إلى توحيد كلمة المسلمين وجمع شملهم بتأسيسه
 (جمعية أم القرى) بمكة هم بسبع السيد جمال الدين إلا أن يترك ما
 قدره حبيباً وينسج ما قدرته له الأقدار وما حسنته له الموهبة العظيمة وأن
 يدعى لإزادة السلطان وحبيب أمره

سافر السيد جمال إلى الأستبة سنة ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٨٧ م.
 واستقبلته الحكومة استقبالا حسنا، وهدى كرم السلطان عبدالعزير
 وهادته ورحب به الصدر الأعظم «عالي الشان» وسائر الوزراء والعظماء
 والتف حولة لعلماء والأدباء ونزل منهم مبرة عالية وتناقلوا الشاء عليه.
 ودعاه السلطان إلى مجلسه فلما مثل بين يديه وكس السيد معمر
 بأهليته وريه - قابله السلطان بالباشاشة وقربه اليه واحد يستعمر
 منه عن احوال الأسمان وسائر اميلاد التي رحل اليها ويستطلع رايه
 الديني والسياسي فكانت إجابات السيد محكمة رصيدة تدل على عقل
 حبار وبصيرة نيرة وإخلاص بلاسلام والمسلمين وقد دعاه السلطان
 مرات عديدة كرس السيد في جميعها موضع إعجاب السلطان وشانه

ثم رأى الحليمة أن من الحكمة الانسجام بمواهب السيد في أعماله
 الرسمية فأمر بتعيينه عضواً في مجلس المعارف بعد ستة أشهر من
 وصوله إلى الأستبة

بعد ظهر السيد في وظيفته هذه - وهي أول وظيفة رسمية له خارج
 بلاده - بتعاليم جديدة وإصلاحات للمناهج مبيدة، ترعى الله والوطن وإن
 أعصيت الخلقين للأمة، والمناطقين الذين يعيشون بلا ضمير وقد ترعّم
 هؤلاء «حسن أهدي فهمي» شيخ إسلام تركي في ذلك الوقت، الذي كان يرى
 في تعاليم جمال الدين مساساً برفقه وتحتدياً لسلطنته «أصمير لحمل

بدر السوء وترسم به الدوائر لكافة به. و لتمثيل من شأنه هكل لا يظهر
و قد للسيد جمال الدين في المصحف وهي لاجتماعات حتى يعمده شبح
الاسلام بقدا غير يرى يبدو في صواب المكر والحق والعداوة والبعضاء

وهي رمضان سنة ١٢٨٧هـ - سبتمبر سنة ١٨٧٠م - تقدم الى السيد
جمال الدين «حسين أفندي» مدير دار العلوم راجياً منه أن يلقى خطاباً
للبحث على الصناعات، فاعتذر السيد عن إجابة طلبه محجاً بضعفه في
اللغة التركية وبعد إلحاح شديد أحاب السيد دعوته، وألقى محاضرة
همة. وصنعها الإمام محمد عبده في صبر ورسالة (لرد على الدهريين)
اد يقول

« لما كان اليوم المعين لاستماع لحطاب تسارح النفس الى دار العلوم،
واحصل جم عظيم من رجال الحكومة واعيان اهل العلم وارباب الحرث،
وحضر في الجمع معظم الوزراء وصعد السيد جمال الدين على منبر
الخطابة وألقى ما كان قد عدّه وارسل «حسن أفندي فهمي» شعبة نظره
هي تصاعيف الكلام ليصيب به حجة لتمثيل به وما كان بجدها لو
طلب حقاً

كان الحطاب في تشبيه المعيشة الإنسانية بدر حي، وأن كل صناعه
بمسرفة عضو من ذلك البدن يؤدي من أضعافه في المعيشة ما يؤديه لعضو
في البدن، فشبه ذلك مثلاً بالبح الذي هو مركز التدبير والإرادة
والحدادة بالمعد، وإبراعة بالكبد، والملاحة بالرجلين، ومضى في سائر
أصابعات والأعضاء حتى انتهى على جميعها ببيان صواب واهب، ثم قبل
هذا ما يتألف منه جسم السعادة الإنسانية «لا حياة لجسم إلا بروح،
وروح هذا الجسم إما سوء وأما لحكمة ولكن يصرق بينهما بأن السوء
منحة إلهية لا تنالها يد انكاسب تختص الله بها من يشاء من عباده والله
اعلم حيث يقول رسالته أما الحكمة فهي تكتسب بتفكير و ليطر هي

«بعضيات» و«الشيء معصوم من الخطأ» والحكيم يجوز عليه الخطأ بل يقع فيه وإن احكام انبثأت نية على ما هي علم الله لا بآتيه السائل من بين سببها ولا من خلفها هذا لأحد بها من شروط الإيمان، أما إراء الحكماء فهم على الدعم فحرص اتباعها إلا من باب ما هو أولى والأفضل على شريطة ألا تحالف الشراخ الألهي

هذا ما ذكره متحققاً بالنبوة وهو منطبق على ما اجمع عليه علماء الشريعة الإسلامية إلا أن «حسن» هدى فهمي، أقام من الحق بأطلاً ليصيب عرصه من الانتماء هشاح أن الشبح جمال الدين رغم أن النبوة صفة و حيج لتثبيت الإشاعة بأنه ذكر النبوة هي خطاب يعمق بانصداعة نعم لم يرق هذا الخطاب شبح الإسلام ما كان هي نفسه من الحمد على جمال الدين فرمه بالرفع هي العقيدة، وأوعر إلى بعض الصحف بذكر ذلك، وألب عليه الوعظ هي المساجد

هوسرى أسيد جمال الدين الدفاع عن نفسه وطلب معذكمة شيخ الإسلام هشاح بعض أصحاب السند عليه أن يرم السكون ويعصى على الكبرية وطول الزمن كمين بانصمخلال الإشاعة وصعب اشرف فلم يعمل ولجّ هي طلب المحاصصة وهمايت الصحف الحرة بدورها مؤيدة لحمال الدين منصورة لرايه وكانت حرب قلعيه ثارب عجزحتي من شعب لاسانه ولكن الحكومة انحدرت لتشيحها و انتهت بصنور الامر إلى جمال الدين بالمدح من عن تركيا حتى تسكن الحواضر ولهذا النصوص وأشار عنه محبوه بالعودة إلى مصر فعاد إليها هي من هذا الاصطهاد الديني لمقتل ولكن بعد أن يد بدور الاصلاح التي اشرفت بعد هذين من الزمن، إذ سرعان ما قامت بهمة إصلاحية عامه جمع هني، اعظما، على المعادلة بالاصلاح الديني

جاء هو لحرره الدين هي الحركة السياسية التي هدر أن تنهض
بمشورة التي قام بها محدث باشا سنة ١٨٦١م وكمن من أثرها تلك
الهيئة التي شملت تركيا وحملتها هي مضاف الدول التركية

وفي يوم رخيصة من الأستامه مبعدا ذهب وفد من العلماء والأصدقاء
لنوبيه فاشتغل أحدهم عصيا هي حصه واحتججه على شيخ الاسلام
من كرامه الدين هو ففد عند ذلك السيد حمى عاصيا وقال ليس
حط أراه أكبر من من كرامة الدين لمجرد عمل بانيه هرد من تاعى ذلك
الدين. واعتمد ان الهيئة البشرية لا يمكنها الاستعناء عن السلطتين
الرسمية و لروحية نعم يمكن أن نظرا على أحد أهمها حل ليس هي اصل
الوسع. فيجب العمل على إصلاح هذا الحل والوقوف بوجه من حل
وارعاهه على الرجوع إلى الأصل. ثم قال السلطة الرسمية بملكها أو
سلطانها بها ستمدت هويتها من الأمة لأجل جمع أهل الشر وصيانة
الحقوق. أما إذا أودعت هذه السلطة بيد من قبل اعوانه مشيئة الملك
قانون المملكة هذه يجب على الأمة وقوها تجاههم لأن إرادة الشعب هي
هي الحق فليس ذلك الشعب. ثم قال وكذلك القول هي السلطة
الروحية. وعلى بها ما لكل دين من المصود المعنوي على من يدبرون به
هأذا صدر الدين هي عابه اشريعة حمده السلطة الرسمية وإذا صدرت
السلطة الرسمية هي العاية المصنوع منها وهي العدل المطلق فالسلطة
الروحية حمدها وشكرتها ولا تشاهر هاتر السلطان إلا إذا خرجت عن
لحوز الألام بها.

وكانت هذه آخر كلمة قالها السيد جمال وفارق على أثرها الأسباه
فحمله بعض من كان معه على التحول إلى مصر

جمال الدين في مصر.

سبق أن ذكرنا أن جمال الدين جاء مصر ممسحاً عقب اضطهاده السياسي من إنجلترا في الهند. والآن يدخ جمال الدين مصر للمرة الثانية ممسحاً أيضاً وذلك في أول محرم سنة ١٢٨٨هـ (٢٢ من مارس سنة ١٨٧١م) إثر اضطهاده لدى من رجال الدين في تركيا

ومن الظلم أن يكلف هذا الاضطهاد أثره في نفس جمال. وأن يترك في قلبه باراً متأحجاً بالعصب والسخط، والتورط على الحمود الفكري والتأخر العقلي فجاء السيد إلى مصر مصرحاً عن نفسه من ذلك العناء الذي لحقه في حياته من جراء دعوته إلى الإصلاح، وتلقى الناس مبادئ الحرية.

ففي الأهمان ابتدعه الحياة في جو مليء بالدمر والمكائد. وفي الهند وقفت له إنجلترا بالمرصد براقب حركاته وترسل حوله العيون، وجواسيسهم ولم تلبث أن رضته إلى مصر. وهي الأساية بعد من رجال الدين الأعداء الأنداء!

نعم جاء السيد جمال إلى مصر عذراء أن يحظى بمسقط من الراحة والاستمرار. ويظمر بالهدوء وطمأنينة أهدأ. ولكن انتهى ذلك لرجل مثل جمال خلقت نفسه للكفاح والصمد والجهاد في ثورية الإنسانية وكيف نه أن يفهم بمصر مظهر الحاضر وعلى مرأى ومسمع من تلك المظالم المأذجة. وذلك الانحطاط العام في الفكر والسياسة والدين، فمر عليه أن يكون بمصر وهي على هذه الحالة خصوصاً وأن المصريين فيهم الاستعداد للإصلاح. وفي موسمهم التطلع إلى الحرية والحيمة السعيدة

حضر السيد إلى مصر ولم يكن في عزمه الإقامة بها طويلاً. غير أن ما وجدته من أهلها وحكومتها من الحمولة والإكرام حسب إسهاء البقاء فيها ورغب إليه العمل فوق أرضها وتحت سماتها، إذ لم يكن يتوهم أن

«رياس باش» وزير «إسماعيل» هي ذلك الوقت يحتفى بالسيد هذا
الأحناء ويرحب به ذلك الترحيب، ولم يكن ينتظر أن حكومة إسماعيل
ترعه هذه الرعاية وتجري عليه مثلها قدره مائة وعشرون حينها
(١٢٠ ح) هي السنة مكافأة له وتقديراً لمصله

نعم لم يكن ينتظر هذا، ولا أقل منه هي مثل حكومة استبدادية تعرف
أن لجمال راء لا تنفق مع استبدادها ومبادئ لا ترغب فيها
ما كان ينتظر أن يتقبله الحديوي وهو يعرف ما لجمال الدين من
خطر على سياسته، ويعرف ما لبروسه الدينية ودعوته الوطنية من اثر
كبير هي نفوس شعبه .

وهنا موضوع للتساؤل عما حمل الحديوي إسماعيل على استمالة
الحكيم الأعماسي للأقامة في مصر وإكرام مثواه، فقد سدد هذا العمل
عزيتاً لأن لجمال الدين ماضياً سياسياً ومجموعة أخلاق ومبادئ
لا يرغب فيها الملوك المستبدون ولم يكن السيد من أهل المن والادهر
فبال عظمهم ورعايتهم، ويخرجو عليه الأوراق بلا مقابل ولكن الأمر
لا يفسر همه اذ عروباً أن شخصية جمال الدين العلمية، وشهرته هي
المسماة أقوى ظهوراً وخاصة هي ذلك الحين من شخصيته
السياسية

أما آراء الحكيم السياسية وكراهيته للاستبداد وبرعته الحرة فلم
يكن مثل إسماعيل يحشاها أو يحصب لها حساباً كبيراً لأنه هي ذلك
الحين سنة ١٨٧١م كان قد سدد أوج سلطنته، فكان يحكم البلاد حكماً
مطلقاً يأمر وينهى ويتصرف في قدر البلاد ومصاير أهلها دون رهيب
و حسيب، وكان مجلس شورى النواب له مطلوبه هي بدء، والصحافة
هي بدء مهدها تكبر له عبارات المدح وتصوغ به عقود الشاء، ولم يكن
سلطانه قد استهدف بعد لتدخل الأجنبي لأن هذا التدخل لم يقم إلا هي

سنة ١٨٧٥م فليس ثمة ما يحشئ منه إسماعيل على سلطته المطلقة من الداخلية الداخلية أو الخارجية حين رغب إلى حكم الشرق الإقامه والتدريس في مصر وقد بدأت النهضة التي ظهرت في يد السيد عمية -ذيه- ولم تتطور إلى الناحية السياسية إلا حوالي سنة ١٨٧٦م على أنها هي تطورها السياسي لم توجه ضد إسماعيل بالذات، بل اتجهت رأساً ضد التدخل الأجنبي.

وثمة اعتد جراً لا يموتنا الإلحاح إليه. ذلك أن جمال الدين قد أخرج الاستانة إذ لم يجد فيها حراً صالحاً للنهضة العلمية والفكرية. وقصد إلى مصر وقد سمعته إليها أسوأ وما لفته هي دار الخلافة من كفت ولاضطهاد وكان إسماعيل ينافس حكومة الأستانة في الملكة والعمود السياسي وينصر إليها بعين الرزية ولا يرمى لمصر أن تكون تابعة لتركيا ولا أن يكون هو تابعاً للسلطان العثماني. وليس حاجباً ما كان سدله من المساعي للانفصال عن تركيا هي ذلك الحب. وظهوره مظهر المعامل المستقل هي معرض باريس العام سنة ١٨٦٩م وعمره على إعلان استقلال مصر، التام لولا الغتات السياسية التي اعترضته. ولا يعرف عن الدهى ما كان بين الحديوي والسلطان من مظهر الفتور والحياء التي كانت تقطع الروابط بينهما

في هذا الجو هبط جمال الدين مصر معبداً من الأستانة. واستطاع أن يشر رسائله في مصر بواسطة تلاميذه الذين كانوا يندون إلى مرته من الأهر وغيره وقد سجع عدهم نحو الثلاثمائة. وكانوا من صمود أبناء الأمة وبمائها ولم يمت أن كان له نصار ومحبون يمشقون دروسه ويحبون الاستماع إليه في حديثه ويعطونه على ما وهمه الله من راحة العقل وخصافة الرأي ويلزمونه في الروح والعدو وكانوا له لسان مدح وثناء عند الناس جميعين

وإحدى ظواهر لنا في بادئ الأمر أن الشيوع المحافظين لم يحتسبهم
مبادئ جمال الدين ونعاليه الدينية وإن رافق في أعينهم مبادئه
السياسية التي عرف بها

وكانت مبادئه الدينية مقبولة لدى طيفه المتأثرين بالحصارة الغربية
وكان العدد الأكبر من تلامذته من أصحاب المناصب العالية في القضاء،
أو اساندة المدارس العادية أو رؤساء المصالح الحكومية وإن كان
بعضهم و حلهم قد تعلم في الأهر غير أنهم كانوا ممن تعلموا شيئاً من
علوم العرب

وقد يبدو عجيباً من أول الأمر أن يكون هؤلاء أكثر تلاميذ السيد
ولكن ينقطع عجباً إذا ما عرفنا أن المصريين عذراً حتى ذلك لأنهم
كانوا من العصر المحافظ الذي لا يصل إلى حد أو التحديد و المناهضة
في أصول الدين أو هروجه وخطه جمال أنى كان يغير بها، هي أن
محافظ الدين بعض مؤيد بالأدلة وأنها هي ليس معتقداً على نقل
وخدم.

غير أن النابض من الأهر من له يمشو أن سارعوا إلى جمال
معتزفين من بحر علمه بعد أن فهموا أن علمه وفكره هي كانت
لا تختلف مع الدين هي شيء، فحملوه على تدريس الكتب العلمية هي
فنون الكلام و تحكمه استقرية طبيعية وعقلانية وهي علم أهميته
الملكيه و دعم لتصور و علم أصول الفقه الإسلامي

وهي عام قدوم السيد جمال الدين إلى القاهرة استصب سعد و خول
لي الأهر ولم يدوا في انتهاب إلى السيد جمال و شار مدرسة، فتلقى
فيه مبادئ الحرية والإصلاح واشتد في حركة الإصلاح التي أثارها
السيد جمال بالمسقط الذي استطاع أن يقوم به هي شاء التدريس والعلم
هناك جماعة من جوانه الطلاب أمثال اللغوي و أبي حنبل و عبد الكريم

سلمان، وأديب إسحاق لأصلاح الأزهر، وكتبوا مشوراً وعلقوه في سواد الليل على عمدة لأزهر يوم، فيه مواضع الحق ووسائل العلاج التي تتجعد في إصلاحه

وهي ذات يوم، ستتكتب السيد جمال للأمة موضوعاً عن الحرية فكان سعد، أكثر إخوانه إحداه فقال السيد، «هذا بعيش!» وقال

«مما يدل على أن الحرية ناشئة في مصر أن يعيد هي الكتابة عنها مثل هذا «الشيء»

بهذا الأسلوب فتح السيد جمال الدين أذهان المصريين إلى اسبحث والتمكيز، وبين بهم طريق الاستنتاج والاستنباط، وكان جمال يسحر سامعيه بعلمه العزيز وحديثه العذب وتعليقه المنيع على الموضوعات المختلفة، ويجود بحكمته على كل من حضر محاضرة

وهكذا أجد السيد جمال الدين يواصل تعامله، ويبرز بذكر العرفان على للأمة في مختلف العلوم والفنون، حتى به له شعر يصعب النجسة الأدبية دفعته الرغبة الشديدة إلى شجيع تلاميذه على القراءة في كتب الأدب، ليعيدقيم سلوكهم، وتقرب عباراتهم إلى الصراحة والبيان، ليمسقطهم بما ذلك أن يكتبوا هي المصحف ما يع لهم من لأعراض فصالح الأمة وخير الوطن. وبهذا هم لجمال الدين ما كان يرحوه من وجود كتاب لا يشي لهم عبار، وعلماء يشار إليهم بالبن كان هي طليعتهم

الشيخ محمد عبده، والشيخ عبدالكريم سلمان، وإبراهيم اللطفي، السيد وهما القوي وسعد زغلول وعبدالله نديم وقاسم أمين، وإبراهيم المونجي، ومحمد المونجي وحسن مصطفى، والشيخ بحيت، والشيخ عبدالرحمن فزاعة، وإلهياوي، وإبراهيم المعجمي الصحفي المعروف، و الحاج أحمد شفيق وثلة من أدياء لشام التارلين بمصر مثل أديب

استحقاق، وسليم التفاضل وسعيد المستافى، وسليم المنجورى، وحليل
ابن حن وغيرهم الكثير لا يتسع المقام لذكرهم

هنا مع مريدود وجملة علمه يكتوى ويحسون ويشرون على الملأ ما
انتقلوه من هوائهم وانتطعموه من هوائهم، وكان ذلك سائناً عادياً لا عهد
لناس بأمثاله. وأسلوب راقب انتطعت منه قرون عديدة نسبة رجاؤه
ما حدث في الأمة حركة فكان لم تكن من قبله، ومع هيها روحاً سرية
ظهر عليها طابع عرفانه وفصله فسطعت بهم واستحدث عرائم
وهبت قوى وعاصمت قرائح.

ولقد قام السيد جمال بحركة سياسية لا تنقل شأنها عما قام به من
الحركات العلمية والأدبية، والعلم والسياسة نوامان قلبه، نشر العلم في
مكان إلا واهتم بالحرية

وكانت مصر في هذه الأوبة تحتارها أرمع عامة شديدة وتسير إلى
لهوه السخيفة بسبب التدخل لأحس أذى جاء عن طريق الاستيلاء من
الدول لجعل مصر قطعة من أوروبا، مما سب ارتباك الدولة واستيلاء
الأحسب على مواردها، وبالأحرى مما جعل للأجلبير مسلكاً يتدخل في
شئون مصر والتحكم فيها

إلا أن هذا العمل وهذه المروص وما يسعى من تساهل في شروط
المروص وما استسلمه من التدارل عن الكثير من الحقوق كل هذا قد
ساء جمال الدين الذي كان من منبهه رفض أي تدخل أحسب مهما صغر
فسرعان ما أحس بتلاميذه في الناحية السياسية وبههيم ابن مصر
للدخل لأحسب والرهبة الأجنبية ونفى وأبهم على نقطة من أعمال
الحكومة

جد النمود لأحسب يسيطر على البلاد، وأصبح الكلمة بهم وهي

خلال عام ١٨٧٨م رآه مركز اسعد حمال الذين خطرأ هي البلاد وبطرت له الحكومة وأتوا إلى بضرة خوف وحذر لأنه تدخل في السياسة وتولى رئاسة جمعية الماسون العربية، وصار له صدقاء وأولياء من أصحاب المناصب العالية مثل البارونى وعبد السلام المولى الشب المصرى وأبراهيم لوبلى وعلى مظهر والشاعر أبورقانى ثم تعرض لهجه اسعد حمال وتصاعدت هجته واتسع زمن تدريجه، فبعد أن يقضى بيده في داره يخرج موكباً على عصاه إلى ههوه «الوسنة» وهناك يجلس في الصدر ويلتف حوله تلاميذه ومحبيه فيناقشهم في الأحوال السياسية وما ينطلمه مذهب مصر حينذاك وما حلته الفروض على البلاد من الحراب واليغار، وما عسى أن تسميه من توسع التدخل الأجنبى

ثم ألقى السيد بصره العوام أنه يصبح صدره لهم بينما كان يشاير بحكم ودوى الكلمة بالشددة والاسفة والنعرة فمعرف بشأته كثير من العامة والحداثة وتقربوا من مجلسه فأحبا يستمعون لبروس اعلميه والعلم محاصرات في السياسة والحرية والوطنية وكان يقول لهم مستهجن ههوه ما صفاء

«أنكم معاشر المصريين قد توالى عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم وأنتم تحملون عبء ثير الفاتحين نسومكم حكوماتهم الخسف والحدور، وتنزل بكم الخسف والذل، وأنتم صابرون وتنزف قوام حياتكم ومواد غذائكم المجموعة بما يتحلب من عرق جباهكم بالضرعة والسوط وأنتم هي غملة.. تناوبتكم أبدي الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب والأتراك والمماليك ثم الفرنسيين والمماليك والعلويين وكلهم يشق جلودكم بمنصب نهمه، ويهضى عظامكم بأداة عسفه، وأنتم

كالصحرة الملقاة في العلاء لا حس لكم ولا صوت. انظروا أهرام مصر، وهياكل ممفس، وآثار طيبة، ومشاهد سيوة، وحصون دمياط شاهدت بمنعة أباكم وعزه أجدادكم

وتشبهوا أن لم تكونوا مثلهم إن النشء بالرشيد فلاح
هيوأ من غفلتكم، واصحوا من سكرتكم، واصصوا عنكم ضار
العبادة والخمول. وعيشوا كباقي الأمم أحراراً سعداء، أو موتوا
مأجورين شهداء...

فجمعت كلمتهم على أنكره أنى مقدم بها بعض المجتمعين وهي
نايف هيبة منهم يسمى الحرب الوطني كفا ألفت من بعض أدب
وبعض المجتمعين جميعات سرية وغير سرية

وعلى سبيل هذا الحرب، وهذه الجمعيات حرت لأول مرة في تاريخ
مصر الحديث كلمة (مصر للمصريين) أنى كانت عهد من عبادتهم

ومار ل جمال أنين شيطا هي دعوته هيبت تلاميذ المشتمين بالسياسة
لحب الحرية وبث هي مؤسهم روح العبرة والشهامة، وحارب هيهم ضمة
اسل والمسكة وذكرهم بحقوقهم المهدومة ووطنهم المعبس وصعبرهم
المستعبد ومآلهم المهور وهو ميتهم المحقرة وسبهم المهور فحرت
هيهم عرق الحياة فمصحوت سعدايه تلك البروكين لثأله أنى تحلت هي
لجاس اسيمية وهي الصحف هي ذلك الحين

على أن السبب الأول هي تحقيق دعوة الحكيم وفلاحها هو ذلك
الاستعداد الفطري الكامن في نفوس المصريين همذ لاهت دعوته إذا
واعنه وعمولا ماصحه وزوجاً عدلية وثابة لى المجد والرفعة ولولا رغبة
المصريين هي التخلص من يد الأجبي واليهوس ببلدهم إلى مكان العتق
بها لخدمت دعوه جمال أنين وما ظهر بها أثر لمقاومة الإنجليز لدعونه،
وحتى بعض بعماء عليه

والقد كان طبيعياً أن يقاوم جمال الدين من إنجلترا لأثره الحره التي تنافى مع سياسة الاستعمار، وشباطه الماثق وشجاعته وجراسته التي يصدم بها الأنجليز ويكتشف طواياهم ومخائلاتهم

والقد كان طبيعياً أيضاً أن يقدم السيد جمال الدين من بعض جماعه العلماء ومختلف رجال الدين إما لجمودهم وعدم تفكيرهم بالدين واما لحقدومهم وعدم رصانتهم عن ظهور عقولهم بينهم تملأ شهرته الأفق وتكون له في النفوس أسمى مكانة

فقدم جماعه المحافظين على القديم بدون تفكير وأشعلوا حرباً شعواء على آراء جمال الدين المتطرفة في نظرهم، المتعددة في نظر الحق، الخارجة عن الدين في رأيهم والتي هي من صميم الدين في رأي شريعة وتعدوا من دروسهم سبيلاً للطمع عليه محسجين بقرونه لبعض الكتب الفلسفية جداً بقول جماعه من المناحيرين في تحريم النظر فيها على أن التنازل بهذا القول لم يطلقوه بل قدودو ضعفاء العقول فصار النظر خشية على عقولهم من ترويع أمم الناس في إيمانهم منهم النظر هي علوم الآداب والأحرار من مؤلفين لمدهم "و محالين، فلا يريدون ذلك لا يصبره في دينهم وهو هي يمينهم ولد هي أئمة الملة الإسلامية أنص حجة تقوم على ما نقول

ولكن تعسف الحاسدون من نسبة ما وضعته كتب الفلاسفة إلى رأي هذا الرجل ودعوا ذلك إلى إمامه ثم أيدهم احتياط من الناس من مذاهب مختلفه كانوا يظنوا من محاسنه فيسمعون ما لا يفهمون ثم يخرعون هي النقص عنه ولا يشعرون.

وما كانت تعاليم جمال الدين وأبعده هي العقيدة إلا عن طريق بعض التفكير هي الكون وما وصله نخته العقل إلى مخالفة ما جاء في النقل بل وافقه هي كل شيء اللهم إلا ما اعتز به لشدعون ودعاء الداحلون هي

الدين وما هم منه في شيء، وكثيراً ما يكتفى الكسول وضعيف القوة في
الجدل بما يقدمه بكلمة باطلة على حق ظاهر برب أن يدعوه فيقول
تلك مدعاه في الاسلام وما يريد بهد الا حب التحصن من مشقة الفهم
و الخروج من عبء العمل في البحث

قام العلماء في وجه السيد جمال الدين وعظفوا عداوتهم له وهذا معنى
في نفوسهم العداوة له بعض الانجليز للسيد وعدم ارتياحهم لوجوده في
مصر وخاصة بعد أن وقف الثواب وبعض العلماء وانشعب في حاسه
ثم عُرِل اسماعيل بولي توهيق يكن بعد أن جعل للأخماس مداً قوية في
البلاد ورأياً سافداً في الحكم

وسولية توهيق ظهرت برفقة من الامل بسيد جمال الدين لأنه من به
اتخذ بما جرى لأبيه

من السيد أن توهيق هو الحق لزعيمه له ظهوره من ميله للحكم
السياسي أن أن كان معه هي جماعة الناسون

ولكن مع الأسف سرعان ما تهدمت همزج اهل السيد جمال الدين
بعد ثوبية توهيق

وتسمى توهيق العرش ووجد نفسه بين قوتين متناقضتين العرش فهو
اصدقائه المصلحين الذين أخذوا بحثوبه على لواء نوعه كان اصبره
بهم من قبل بتحقيق لحياء الليابية في مصر، وقوة لتفاصيل بقى تمنع
من أن يزل عن شيء من سلطته انتهى كانوا يريدون الانتعاج بها

سلم الحديوي توهيق زمام الحكم فموجت نهاتن القوتين فاحتر
لنفسه أن يتدرج بالتفاصيل انقاء لسلطانه، فعصب جمال وحرص الشعب
على الخروج على ذلك الحكم فقامت الثورات في كل صمم

فعدم وكلاء الدول وإرباب المود في مصر ان محرك هذه الاهل
وباعت الأتس على طلب الحرية بما هو السيد جمال الدين هتضمو
الى لجباب الحديوى وما كان الحديوى يجهل حملاً ومود مقيم
له الادية على حظر لرحل. وانه يريد ان يجعل مصر جمهورية هو
رئيسها

وما قالوه من انه هو المحرك للاهكار حق. ع أن يقولوا له انه
يسمى لجمال وقلب لمكة الى جمهورية هو رئيسها شهد كذب
و خلاف و ليس جمال بالرحل المعروف او الذى يعمل لسمعته الدائبة

بمع كان جمال الدين يريد ان تكون مصر جمهورية حرصاً على صانع
البلاد ولكن ليس في ربه ولا في من تلامذته. ولكن بعد ان يسه الجهن
ويشع الضلام هم يكن من استطاع في ذلك الوقت تأسيس جمهورية
به بطرد الى حالة الجهن اى كس ساءاً على العقول

ظهرت بوادر اضطهاد السيد من الحكومة وتمكنت اليد لأحبيه من
تحقيق عرصه بطرد جمال الدين من مصر. ولقد قال (براون) في كتابه
«الثورة المصرية»

ان الحكومة المصرية ساءها نشاط جمال الدين السيدى فحملت
الحديوى الشعب على تعليص البلاد من ذلك المهيج الخطير وقال الامم
في ترجمته معكم في كتاب « لرد على الدهريين»

«الأ أن بعض المصلدين ومنهم مسر «قيمير» قضيل بجلوا معنى
صمد بدو الحديوى ومنه ما ثله يعلم انه يريد منه حتى غير فب
لخديوى عليه هامر بإحراجه»

اجتمع مجلس انظار برئاسة الحديوى وقرر في السيد جمال وفي
مساء السبت ٦ من رمضان سنة ١٢٩٦ هـ ٢٤ من أغسطس سنة

١٨١٩م) مريض عليه وهو عائد من مشهات وحجر في الصبغة مهاب
معدية حتى د برع نور الصجر جاء نالاميد ومحبوه ولكن الاو مر
القاسية حالت بينهم وبين الاتصال به اذ معزوه من الاتصال بأحد حتى
في أحد ملائمة

ولما دفع سدر انطلام وانبعثت أشعة الشمس من وكرها صنعت على
اسيد جمال وهو ملقى في لسجر بين جذرا مظلمة فحملوه عندما
صبح النهار في غربة معلقة الي محطة السكة الحديدية ومنها الي
السويس و نزل في الباحرة ندشة الي الهند فلقه بلاميد ليودعه
على الباحرة وهي نصم الألام من كلمة وهي فكرهم ثورات متأججة

فقال لهم سيد جمال عجيب ن يكون نصيب استنصر لمصر
والمصري هو الطرد وسوف يخلص مصر لأحيا اذ هم عملوا بالحرم
وهيار ما يلزم من لغرم وما بتطلبة حكم لد ب من رفض الهوى
وسوف يفعلون ذلك اذ أصبحت الكلمة وبوحب الالهوا نحو لعابه فلا
يمكن ن يحب مصر ولا يحب الشرق إلا اذ نأح الله لكل منهم رجلاً قويً
عادوا يحكمه بأهله ثم هل اذا صبح ان من الأشياء ما ليس يوهب
هأنهم هذه الأشياء الحرية والاستقلال

نزل اسيد في البحر ليعاقر الي معدي ونم يكن معه من السود
كثر من ثلاثة جنهات عثمانية وبعض فروس من انصبة على ان هذا
المنع أحد منه في السويس فلما شعر بذلك فمصر دولة امر ن بالسويس
جاء ومعه بعض بحر المحم ليودعه و تقدم اتصال به بمقد مائه
ديار على حديق الهدية فدى ان أحد معه شيئاً وقال كلمته المشهورة

« حفظوا المال فتمت امة احوج ن ثابت لا يعدم هريسته حيثما
ذهب»

كلمة تدعو منها القوة والرافة، ويظهر فيها الإحلاس والعزّة يتصف
عن المال وهو أبوه أخوخ من غيره ويرفضه ولم يكن معه انقليل ولا
الكثير بل يترفع عن أحده بدون كسب وعمل أو بدون كد معتمد على
صبره وإيمانه على هونه وشجاعته، على حرته وإفدائه

وفي اليوم الثاني من شهر السيد ذهب بعض تلامذته إلى بيته
فوجدوا بعض أعوان البصيلة يعذبون كنهه فدهشوا ورجعوا وكان صدمه
كتب كثيره في فنون شتى فحضر منها عول الإصلاح وحضرة الأمن
ما احتاروا لأصعبهم وحشوا لنهاه في بطون الصدايق وأرسلوه إلى مدير
«ابو شهر» من بلاد إيران طناً منهم من صاحب الكتب ذهب انهما وبقيت
تكتب في محرن الحمر ك هناك إلى أن أكلتها الغمة شيئاً مريضاً

هذا صنع توفيق مع السيد جمال الدين وهو الذي كان يقول له من
بفيه بأيام

«ت موضوع امالي في مصر أيها السيد»

هناك موضوع هذا العمل من الإصلاح الذي كان ينادي به الحداث
«حديثي هي أدمرد الغدسة» ليس من أول مبادئ الإصلاح تقوير الأمر
على الأمن وكفاية الحقوق بالعدالة؟ وهي يكون الأمر ذا لم تحقق
لهم ولم يسأل منهم ولم تتصنع لجباية نادليها «الصحيحة» ولم تدعو
القوة بمبرها؟

هل أدل من هذا على عدم سبب البه في مصر توفيق على عدم
السيد وبصية وهو لدى كان معه هي أساسية - و ن بفيه كن رغبة
بلا حاش وأحاجة لهم

وهل أدل من هذا على بعض الاحزاب هي مصر وسود كلمتهم واحترام رأيهم؟

وهل أدل من هذا على لئى حزب الحديوى للأحزاب وحشيته منهم؟ لا ريب أن لا نوعا من السب أو الكفر كان يأتى، ولكن الحديوى أظهر سروره مما فعل وتحدث به في محضر جماعة من المشايخ على مائدة الإفطار في رمضان فأظهر الطرب بذلك من كان لا يعرف لنفسه قيمة من العلم والفصل في محضر السيد جمال الدين الرمت احرائد بشر الامر الصادر من السيد وهيه من التفرع الشديد ما لم يكن يستحقه الرجل، كما انه كان يهيه تشيع خارج يمين كانوا معه فسيروا إليه المسمى في الأرض بالفساد وأنه رئيس جمعية سرية من الشبان ذوي لطيف مجتمعة على فساد الدين والدنيا وحدث الناس من الاتصال بهذه الجمعية

شرت بعض الصحف هذا الخبر وهي مكرهة مرعوبة، وأنت إحداهما شره لأن محررها كان من تلامذته فيما كان من الحكومة إلا أن عطلتها

على أن هذه بشدة من حسب الدولة على لسان حكومة الحديوى ثم ترد الأهكار إلا حدة والامس لا حرة، والإحساس بضرورة الإصلاح إلا بموا وظهوراً

كأن الصنف الذي أظهره الحديوى في هذا الشأن - وهو أول شأن مهم عرض به في حكمه - هو الذي سب كل ما أصابه بعد ذلك من الماعب ولو أنه وهي معهوده للمصلحين ولورائته ليضي رعاياه موالين له ولما خرجت من يده تلك الروح البقية الفعالة

هكذا استطاع الإنجليز أن يوعروا صدر الحديوي من ناحية جمال الدين، وهكذا استطاعوا أن يجدوا بين جمال الدين وبين تحقيق آمانيه، وهكذا استصاعوا أن يمزقوا بين جمال الدين وبين تلاميذه

بمع نهاء استطاعوا أن يبعدوا حسد جمال عن مصر وشجع جمال عن تلاميذه ولكن صورته ومبادئه وضعه وحطته باقية دائمة ما دام لتلاميذه اثر هي نفوس الشعب حائده مع الإخلاص والحق ولكن روحه باقية في مصر تحت وتدهج

بمع حق للإنجليز كرامة مستفعمه أن يفعلوا هذا مع جمال الدين وهو أمة وحده شعب لا يهاب غير الحق مقدام لا يوقفه إلا باطل شديد الحادية، سريع التأثير يهانه الناس ويكره انعطاف ويحافه الحكم.

كان لهم أن يبعدوه عن مصر لما تولى توفيق الملك، لأنهم رأوا وراثت العرش صديقاً محباً له كما أصبح السيد صلة بين المصلحين الدين وعندهم مرء بعد مرء بأنه متى وصل إلى العرش فسوف لا يجد شعرة عن جادة الحكم الدستوري.

بمع ما كان ينتظر من الإنجليز أن يفعلوا مع جمال أقل من هذا بعد تولية توفيق فقد جمعت في يده قوة الشعب وقوة الحديوي حيث كانت لصلة بينهم وطيدة واصداقة سابقة والاتفاق مقرر ولما رأوا من ترحيب السيد جمال وصحة المصلحين بارتقاء توفيق منصبه المرش واعشاره دليلاً على حسن الطالع وبلوغ المرام والمور العظيم

في جمال الدين وسأهر إلى الهند، وبني محمد عبده وسأهر إلى مدينته وسجن بوتراب في سجون مصر ولازم وزرنته، وشرد أبناء جمال الدين وعذب طلاب الإصلاح، هأثار هذا تأثيره الشعب، واستغدى عصبهم هفام الشعب، لاأثره وجل لأثره وعملوا على أن يصدر شيع

لأن السلام فهو عدم صلاحية الحديوي لحكم ومخرب حلفه ورخص
طلبات أوروبا.

وقدم المولى، والفطر و أصلى وسبرهم لاثارة انوار مقاصدا
به ورهم يرضون طلبات أوروبا ويحددون طلبهم المستور معاقدين في
سير ارجاعه

وقام اسيد عبدالله سيم لاثارة الفجوة، فأخذ يعطى في لجموع
الحاشية في الإسكندرية والأهرام التي كانت سبع عشرة ألف وأكثر
يحثهم على رفض طلبات أوروبا وعدم كفاية الحديوي لحكم ومؤامرة
لعلاء والنواب

وقام عيسى وأخوانه من رجال الحبش بشيرون الحيد ويحمره
للتدخل في السياسة ومساعدة انباء و نواب و لشعب في طلباتهم حتى
قال عيسى

«إننا نحن المصريين لا نحب الدعاء ولا نود أن يسفك شيء
منها. ومتى عرف برلماننا كيف يتكلم لننتهي مهمتنا نحن الجنود
ولكننا مصممون على حراسة حقوق الشعب حتى يتحقق هذا،
ولا نبالي بعون الله بقيمة الثمن الذي تفتضيه هذه الحراسة
أو الذي يجب أن ندفعه في مقابل حراسة الشعب للدين يحاولون
اسكات صوته،

نعم هامت كل جماعة ثوره من حاسها، وعدم بلاميد حيد الدين كل
في ميدانه ثم قامت الأمة كلها بثورة واحدة هي ثورة المثلوم الحائق على
الاستعمار ثورة المطالب بحقه المسترد لشرفه المدافع عن عرضه
وكرامته

قامت الثورة في مصر من أقصاها إلى أقصاها، وانتقل صدها إلى العالم الإسلامي فأظهر عطفاً نحوها مؤيداً الشعب المصري في مطالبه ورددت هبة عراسي في حين العالم الإسلامي

وهناك هي الهند حيث نفي جمال الدين قامت ثورة من دعاة الجامعة الإسلامية لبشعلوا، إنجلتر يريدون بهذا مساعدة عراسي وأزسر عراسي إلى المستر غلادستون يقول

إن أول قبلة نرعى به مصر ستكون سنناً في سيف السماء في سب وأفريقيا، وأن نعمة ذلك كله على إنجلترا

هت انثورة العراقية كم هب انصاصة بعد طول السكينة، هاشمركت فيها من الأمة كل قوة فكرية أو عسكرية، وشبهها الحامسون والمصلحون على السواء لأن أبطالهم ولعاسد لم تدع لمصريين سلوة يعززون بها أو مهزياً يثوبون إليه، همستهم صمت عسيفاً في يعانهم ليس، وهي مصلحتهم الوطنية، وهي نحوهم انصومية وهي ازراق الأهرار وما يعززون عطية من خرمة عصوية، ومن حصانص لصبيعة المصرية في هذه انثورة ان رجال ليس والأرهريين حملة كانوا على رأسها وهي طبيعة دعائها حالاً لرحال الدين في كن ثورة داخلية في صير مصر من الطبيعة المصرية على ما نطى لم تكن لتصبح ثورة ليس فيها للمحافظة مكان.

لم تملح انثورة العراقية بظراً لأنها أحيطت بدوا من الحيوط من انصافس الحارحية ومن نهانك الحكام على تدول الأحمية ومن عث لبولة العثمانية ، ولولا ذلك لبارت في طريق اقوم من طريقها وسهت إلى مصير خير من مصيرها، ولكنها تعرضت لذلك حمية فانهى امرها إلى نهريه وكانت نهانها سادة احتلال أحسن للملار

مع كان هذا مآل الثورة وكما تمت نتيجتها وربما صلح الحال
وعكس الحال وتغيرت المسحة بما فيه صلاح البلاد لو كان السيد جمال
الدين مقيماً بمصر .

ولكن سافر السيد جمال والثورة هي موسم المصريين تظهر هي دولة
متلاحقة وبسمره مبعياً اشتمل بارها واشتد أوارها وبطام شرورها
حتى يوم ٩٩ من يونيو سنة ١٨٨٢م إذ صرب الأسطول الانجليزى قبلة
هي الثمر لسكندري لحصص شطابها جمال الدين هي سفاهة هيملته من
«حيدر باد» إلى «كوكبا» هشدت عليه الحكومة لرقابة وقطعت عنه حل
الرسائل إلا أن مشعل الثورة كان قد تنقل إلى يد الامام محمد عيسى
الذى كان مبعداً هي قرينه «محلة مصر» فأخذ يكتب بطله وبحول منكزه
حتى اسرقت رحله إلى السجن هو وجميع الزعماء الوطنيين ودخلت
الحقير، مصر وقت أن دخل القسند إلى من هي السجنون ليكيلوا لهم
العداب وبنزلوا بهم الحسف وسموا هيبهم انصرب والسب

أثر جمال الدين في مصر

فيما سبق ذكرنا ما استطاع أن يدركه عن السيد جمال الدين مدة إقامته بمصر وكتبنا ما عسى أن يكون تفصيلاً لحياة المفيد وهو مفيد بها.

والآن بعد أن ودعنا معاً إلى الهدم لابد لنا من ذكر كلمة ولو محملة فيما كان به من الأثر البارز في نهضة مصر الحديثة مع عمي يأتي لا يستطيع أن هي بها للمرجع اعطيم من الحقوق ولو حبات التي عشنا بها جميعاً نحن المصريين

أثره العلمي والأدبي

قبل مجيء السيد إلى مصر كان الأفق العلمي ضيقاً وكان العلماء يلتزمون في البحث والتفكير طرائق لا تنتهي إلى نهضة وهداية وكان الناس قد تنكروا في فهم للإسلام على وجهه الصحيح، وشرحوه به في طرق خروجه عن حدته الصومية، وكان الأدب أيضاً راكداً ولغة الكتابة هي منتهى الضعف، فعمل جمال على القضاء على تلك الأفكار السقيمة والحدوث كتابته التي لا تؤدي إلى العلم والفرهات وروح يمتزج في تلاميذه والمتمسك إليه روح التفكير المطلق وحب الحقائق التي تتمشى مع العمل السليم والرأي الحصيف

لم يتوان السيد جمال لحظة واحدة عن تلقين تلاميذه أفكاره الحرة

سواء هي مرحلة أو هي المفهى الذى كان يحلمن به، وسرعان ما ظهر هي
سماء مصر كواكب العلم وبحوم العرفان أمثال الأستاذ الإمام الشيوخ
محمد عبده والشيوخ أبو حنيفة، والشيوخ حسن الطويل، والشيوخ
عبد الرحمن قرعة، والشيوخ وغيرهم

كذلك كان للمهضة الأدبية بمصر السيد جمال الدين الأثر المحمود
هي حابة مصر العامة فلم يكن قس جمال الدين أدباء بالمعنى الصحيح
يعبرون عن أمسى الشعب وآماله، ولم يكن قبل نزول السيد جمال مصر
حطباء، سبهون الشعب إلى ما يحب ومالا يكون. وكانت الفكرة هي حاجة
ملحة إلى كتاب يهجون عهد ويقاومون ذلك الحكم الاستبدادى الذى
كان يسيطر سلطانه على الناس وقتئذ. فبدأ جمال الدين بتلاميذه
يرعهم في الكتابة ويحب اليهم الأدب حتى ظهرت طائفة من الحطباء
والأدباء يدكر منهم أديب إسحاق وعبد السلام المويلحى، والقاسى،
وحسن مصطفى، وعبد الله نديم. وقد استطاعوا أن يوحّدوا حركة أدبية
في البلاد. كان لها الفصل كل الفصل في انتشار العلوم وتنوير الأفكار
وترقية لغة الصناد، وإليك ما يقول المرحوم حافظ إبراهيم شاعر النيل
في كتابه (ليالى سطحي)

«كان الفصل في انقضاء على التقليد ر حفاً لجمال الدين وتلاميذه
أحب الله بواسطتهم اللغة العربية وبعث الحياة في رميم الإنشاء، وكان
الناس قبل ذلك يديون باللفظ ويفكرون بالمعنى فما زال بهم حتى
أبصروا نور الهداية وجرحوا أنفسهم من ظلمات القرون الوسطى»

ويحسر بما أن شهيد الطبيعة المصرية التي دلت على حسن استعداد
المصري للعلم والتهديب وأن يجر بما علمه المصريون من حب العلم

واكرام العلماء، فلم ير أثراً لدعوه جمال الدين الى الإصلاح مثل ما يرى له في مصر ولم يقرأ في كتب التاريخ ان بلاداً قد أثمرت فيها ثماره، وأنت تكلها صميمين مثل ما يقرأ ذلك في تاريخ مصر الحديث؛ ولولا ذلك الاستعداد الذي تهيأت له لأمة بطبيعته وتلك الظروف التي كانت فيها البلاد لأحققت دعوتَه وماتت في مهدها

أثر السيد جمال الدين

«كان من مبادئ جمال الدين ان الاسلام وائده لا يجتمعان في قلب واحد، ولعمري إنه لبدأ حقد يكتب بماء السهب في تاريخ جمال ويصم به النقاء والخلود ويسمو به إلى مراتب عظماء الرجال

نعم إنه لأية من آيات الحق، ووحى هبط من السماء، وتأييد من الله يؤيد به عباده الصالحين، وهديته من ارحم ربيعة يسمعها الله على من يشاء إنه عليم قدير.

أحمرس أيها القارئ أي مسلم يقرأ هذا المبدأ التوحيدي دون أن يسكب الدمع مدبراً، ودون أن تذهب بعينه حسرات على ما كان للمعلمين في عابر الأزمان من عز وسؤدد، وما هو عليه أكثرهم اليوم من أدلة والانحطاط

سواء جمال الدين ما وجد عليه علماء الإسلام من ضعف الإرادة وهضم الشريعة والاستكانة للغير، مع ما هي هذا من محاولة صريحة لتدوين الحيف الذي يدعو أهله الى الاعتزاز بالكرامة والحرارة في الحق والإنحلال من العمل وترك الكذب والنفاق والخلق، وما إلى ذلك من الأمور الحميمة التي تنهض مع الإنسانية لرفعة الهدية ولا تستقيم مع الحياة الحرة التزيهة الشريرة

نعم سوء، رجلاً مثل جمال بطلع لأحياء محمد الإسلام ووجه نفسه
لحججه المسلمين هي الشرق أن يرى هي المسلمين تعيش ابدل والمسكنة.
وأن يرى هي العلماء صمغاً وحساً للمؤمنين المستمدين وأن يرى بينهم وبين
علوم الفلسفة سداً منيعاً وحجاً كثيلاً هارال هذه الحجب وحطم تلك
السدود وأبى لهم أن الإسلام دين العقل والبطر والناقضة، وأن المسلم لا
يكون مسلماً صحيح الإسلام إلا إذا اعتقد عن دليل وبرهان أن الله واحد
وأن محمداً - عليه الصلاة والسلام - نبيه ورسوله ولا سبيل إلى هذا إلا
بأطرق المسلمين أبواب العلم وأحدوا من كل هن بمقدار ويعبر ذلك لا
تقوم للإسلام قائمة ولا برقع له راية ويبقى أهله موضع الزاوية
ولا احتقر هي نظر أهل العرب الذي بلغ ما بلغ من التقدم في العلوم
والمدنية ولدى ما هتن بطلع عبيد كل يوم بأحدث المحنوعات
و المكتشفات

واحتهد جمال الدين هي حمل الممالك التي وعط بها عى أن تعيد
النظر هي الموقف الإسلامي كله، وأن يستبدل بالتمسك بالتقديم لتحرك
إلى الأمام هي حركات دنية مسخية مع العلم المعصرى، وقد مكته علمه
الهم بالقراء والسمة من هامة الحجة على أنهم هو أحسن فهمهما معاً
لكان للإسلام كُفناً لإحد ث تطور ريق عظيم

داب جمال على محاربة تلك الحلال الرديئة هي المسلمين وعمل على
حشائنها من حدودها، يفاونه هي ذلك ثلاثه الذين تقبلوا دعوتهم
واستمعوا لها من أول لحظة وصل إليهم عبيرها فلم يعض قليل من
الرض حتى دبت هي نموس الأزهريين روح النهضة وحرى هي عروقهم دم
الحياة الحديدية وكانت نهضة دينية احتضنها الأزهر ومشى على هديها،
ولا يزال يستضيء بنورها إلى اليوم

وقد ظهر منذ على مسرح الحياة علماء عصرين فهموا ان الدين انهم الصحيح وعرفوا ان المدنية الاصلية من صميم لاسلام وشاركوا الامة في امالها ولامها، وقد تحلى اثر ذلك ههنا قام به الأزهريين ضد الحكام المستبدين وههنا قدموا به ضد شيخ الأزهر في ذلك التحين الشيخ محمد الفناسى الذى سمعت ثقة العلماء في أن يصدر فتوى بصلحة النظام الدستورى حتى لا يستطيع الحديوى أن ينكث لعهد في إصدار مرسوم بالدستور. وظهر أيضاً في اتحاد الطلاب انشراح عيش محالين ما حرت به لعدة من أن الحاكم هو الذى له الحق في تعيين مشايخ المذاهب فاستحبوا جميعاً الشيخ عيش شيخاً للسادة المالكية، ذلك الرجل المعروف لدى الناس بالصبر، حسة والوطنية والذى بلغ من جرأته أن أصدر بعد مدة من تعيينه فتوى قال فيها: «بأن الحديوى قد حاول أن يبيع السلاسل للأجانب وأطاع بشراً فانه لم يعد يصلح لأن يكون» وإلياً على المسلمين المصريين ويجب لذلك حنقه» فصدق الجميع على هذه الفتوى وذهب الشيخ محمد حصير ومعه نصر من الأعيان إلى درويش (باشا) الذى طلبت بحلها انذاره من السلطان وقدموا إليه عريضة وقع عليها ١٠٠٠ من العلماء والطلبة طالبوا فيها رفض طلبات الدول وحل الحديوى. فعمدت عنه اجتماعات في الاسكندرية والقاهرة كان أشدها حماساً ووطنية الاجتماع الذى عقد في الأزهر على هيئة مؤتمر حطب في هذا الاجتماع السيد عبد الله يديم وقرروا الاحتجاج على معاملة درويش باشا للعلماء مما اضطر لثقة اننى يرسلها أن تسحب مقترحات أوروبا

ذلك من اثار دعوة جمال، وتلك هي ثمرة عرسه الحميل في نفوس الأزهريين

آثره السياسى وتكوينه للحزب الوطنى

ارتكب مصر من اساحية ملثمة وساء حالها من الناحية السياسية
مستند لظلم ووزاد الجور وعظم التدخل الأجنبى فى مصر وأحاط
بالمصريين الدل من كل جانب

لم يرض هذا جمال الدين «هو الذى قطرت نفسه على الحرية وهو
الذى يقول «لا مجتمع الإسلام والدل فى قلب واحد» فقال إلى تحلص
البلاد من هذا الأسر واحد يعمل على تحقيق أمله فارتأى «به لا سبيل
إلى ذلك إلا بتكوين الجمعيات الوطنية ولم تكن حينئذ فى مصر جمعيات
منظمة لها ثرها انما هى مثل «جمعية الماسونية» فدخلها السيد بتحقيق
مقصده السياسى. فيتعرف بعظماء المصريين وغيرهم من الذين تصبهم
هذه الجماعة علأ منه فى مساعدتهم إياه فى رفع الظلم عن المصريين
وتحقيق أحد مبادئها وهو الحرية

عمل جمال فى الجمعية حتى تقدم هيب وبال درجة كبيرة وهناك من
الرؤساء ثم أنشأ محملاً وطنياً

وبعد مريديه من العلماء والوجهاء إلى الانضمام إلى محفله فبلغ عدد
أعضائه ثلاثمائة عضو وعظم إقبال الناس عليه حتى أن توهيق وى
العهود حينئذ طلب السجود فيه.

وكان السيد جمال الدين دائماً بجهر بعدائه للإنجليز، وبشر في جريدة مصر هضولا باطلته بعدداته لهم شنه لإنجليز لجمال من جراء هذه المقالات وترجمتها جرش سن واهتموا بها كثيراً

ولما عظم شأن محمله والتبع بعوده وتصاعف عدد المشتركين فيه راحل بجلنر الخوف من هذا المحمل فاتصل فتصدها بالحكومة فعممت على شنه وقصه

ثم يكن ذلك محيطاً لجمال جمال الدين فسرعى من اجتماع بأعضاء محمله اجتماعاً سرئاً وأصبح إليهم بعد ذلك كثير من الساسة والأدباء وحدثوا بمباحثون ويتناقشون أياماً حتى قرّر بهم على تأليف حزب مسمى بالحزب الوطني في أوائل سنة ١٨٧٩م وقد بقي هذا الحزب في طلي الحماء يرسم الحطوط ويديع الأساء فلما ظهر للسيد جمال أن اسماعيل مخلوع لا محالة كشف نقطه عن مفاصده السياسية وظهر بحرية السيد في المهادن السياسي. وكان هذا لأول مرة في تاريخ مصر يعرف فيه اسم الحزب الوطني الحر

ولما ساء حال مصر بربده اندحل لإنجليزى وبيع النيل لفرنس ذهب السيد جمال الدين على رأس وفد من أعضاء حزبه إلى شسيو تريكو فحصل جنرائى هرسا ومكاتب (التبصير) وكلهمها لمسان حزب كبير قائلاً

«إن في مصر حرناً وطنياً يطلب لإصلاح ويسعى إليه وإن الإصلاح في مصر لا يتم إلا على يد نوهيق فاصداً بذلك طلع اسماعيل بعد أن عدلوا عن مؤامرة اغتياله إذ كان في بدتهم اغتيال اسماعيل، وانتشر ذلك الخبر في القاهرة وعبرها بسرعة البرق وتدفقته جردت في حبه

و، حل هي تلك الحروب كثير من العلماء والنواب يذكر منهم الشيخ محمد عبده، والسيّد عبد الله نديم، وأحمد محمود، وحسن الشريفي وسيد الله حبيبي وحسن أسيد قنديل، ومحمود البارودي وكان الحرب يرى أن أهم عمل للإصلاح هو تعمم التعليم في مصر وبشر الثقافة وهذا كله لا يحصل إلا بواسطة حرية المطبوعات وببقاء مجلس شورى النواب

وكان من مبدئه المطالبة بإطلاق الحريات الكافية لنواب ليعمل بإحلام في حو هادئ، ويريدون تقوية جيشهم وزيادته لأنه هو حامى دمارهم، وكان هذا الحرب حرباً سياسياً لا ديمياً فإنه مؤلف من رجال محتلمى العقيدة والمذاهب، لأن الكل احوان وحقوقهم هي السياسة والشرع متساوية.

وكانت امثال هذا الحرب معقودة على «صلاح البلاد مادياً وأدبياً ولا يكون ذلك إلا بحفظ الشرائع والقوانين وتوسيع نطاق المعارف، وإطلاق الحرية السياسية التي يعبرونها حياة للأمة.

هذا هو مختصر برنامج الحرب الوطنى القديم، وهماك حكمة اتصال بين مصطفى كامل وبين جمال الدين. وبعد اعتمر «الحرب الوطنى الذى أسسه مصطفى كامل سنة ١٩٠٨م أنه الو رث الوحيد المباشر للحرب الوطنى القديم الذى نحن بصدد الحديث عنه، يرجع بعض هذا إلى بطرف ذلك «الشباب الوطنى المتفانى في حب بلاده» والذي وصل تعاليم السيّد جمال إلى مصطفى كامل ونفها له هو السيّد عبد الله نديم صاحب جريدة الملائك وحطّيب الثورة العربية

هذا هو ما نعرفه عن السيد جمال الدين الأحمس في مصر، وبذلك
بعض آثاره التي استطاع معرفتها وتمكننا من كرها، ولكن مآثر السيد
كثيرة ومجهوده عظيم لا يحصره حصر ولا يستطيع أن يقف على
تمامه مؤرخ . وبالجملة فمصر الحديثة هي من عرس السيد جمال
أو هي هديته إلى أبناء جيلنا الحالي

لقد نشأ جمال على حب الحرية ومعت الاستعمار وحاربه في كل
مكان واكتسبه تربيته الأولى شجاعته هاتفه وصراخه في الحق إلى
ما عرف به من إباء الصميم وقوة الشكيمة و لأتفه وأعلى النفس وسمو
الهمة وموقفه مع (محمد أعظم) في الحرب الامبريالية وولاؤه بعد
انهزامه بانزعج من اعزاء (شير عي) بعرض المذهب الكبيرة عليه يدل
على ما كان لجمال من انصاف العالي والأخلاق السامية
ومقصد السياسي كما يقول الأستاذ الإمام

إبه كان يعني لانهاض إحدى الدول الإسلامية من ضعفها وتبويرها
للقيام على شئونها حتى تلحق بالدول اقوية. فيعود للإسلام شأنه
والدين الحنيف مجده ويدخل في هذا سكين دولة بريطانيا في لأقطار
الشرقية، وتمييز قتلها عن رؤوس الطوائف الإسلامية، وبه في عدوه
الانجليز شئون بطول يديها

حاء السيد إلى مصر يخمن بين حسنة نفسها كبره وروحاً قوية باقياً
على دول الاستعمار وحداثة إحصاء، ممدداً بأعمالها في الشرق التي
تروى بالإنسانية ومذهب بالكرامة

وكان المصريون وقتئذ يمدحون على عهد بعض استهدفت فيه البلاد

اللاخطار، وعاش فيه الأهالي مرارة الاستبداد من هداية الصرب
 بسبب اسر ه اسماعيل في المروحي، مما جاء عام ١٨٧٦م حتى كان
 لتمد حل الأحسب اليد العظمى في شئون مصر وبدأ المصريون يشعرون
 بحظر ذلك التدخل فثاروا على نظام الحكم وأعلنوا سحقهم على
 الحكومة وسياستها، بحرقاء التي أفضت إلى امتنع كرامة البلاد وكانت
 نهضة وطنية حققة ظهرت بمصر مبادئ جمال الدين الوطنية وبغاليمة
 السياسية التي عرسها في للأهيدة فكانت بعد من أهم العوامل في
 تنشيط الروح القومية، فتحرك الشعب ضد التدخل الأجنبي، واستمرت
 الصحف السياسية، وزاد يقين الناس عليها، ثم سبب في مجلس شورى
 النواب روح البعثة والمعارضة على يد نواب فصح هبهم جمال من روحه
 بذكر منهم عبد السلام المويلحي النائب الوطنى الجري، واستمع بها في
 حياته لوطنية.

وبنى المصريون مديون جمال في جميع حركات الوطنية، فلينذكر
 كل مصري من جمال الدين هو الذي بعث النهضة الفكرية في مصر التي
 حتى ثمارها اليوم، ونسى عليها دعائم نهضتنا وشيد صروح أمنا
 نعم لقد حُرَّج السيد جمال الدين من مدرسته أساطين السياسة
 وزحل الرعامة ههنا سعد زغلول، تتلمذ عليه واعترف من بحر علمه
 وذلك خالد لذكر الشباب النابه مصطفى كامل الذي نهج منهج جمال
 وبهل من منهج السياسي ونشرب من مبادئه وتلقى حطة السيد من
 التأثير الخطير السيد عبد الله نديم

وهذان هما زحلا النهضة السياسية الأولى أما مصطفى فكان

اسعدت لها وأما سعد فهو الذي تعهدوا من سعد مصطفى وصار بها لي
الذهب لي ثورت الحاضرة لي رعت رأس مصر ووضعها في
مصابيد الدول الكبرى، معتدة بمعهدا وبأسائها، سائر في اتحافها حتى
لا يدع مجالاً ليا ب من أبواب المجد إلا ولجت به في شاء الله.

كتب الله لها التوفيق

جهاده بعيداً عن الوطن

جمال الدين في الهند

للمرة الثالثة

تكلما عن جمال الدين في الهند في المرة الاولى والثانية
ما الاولى فكان قد ذهب إليها كعبد متروك من علومها ومعارفها
وما الثانية فجاء إليها اسداً له قيمته وقدرته فوق ما كان له من
اشان العظيم في الحياة العلمية والعملية
اجل الحكيم إلى الهند للمرة الثالثة منبياً من مصر ورسول في مياد
«بوشهر» ثم انتقل إلى «حيدر اباد»

سافر السيد إلى الهند وقد تركت روحه الثورية أثراً هائلاً في نفوس
سائر مصر مع تلك الأنام التي أظهرته في ثورة عرابي أحد أبناء الحكيم
اجل السيد إلى الهند وهي نفسه ألم بعضي وآخر شعيق من هراز
لحكومة القاصي منبى وصدر دلائع كدب صند مفسوء بالاضطراب من
حكومة رئيسها الاعلى الحديوي توهيق اندي قال له في يوم ما
«أنت موضع آمالي في مصر أيها السيد»

بمع لحمل الدين في يجرى ويسب على ما رأى في مصر من الهيئات الحاكمة
«مصر جمال وهو في الهند على ترك السياسة، وعدم الاشتغال بها

ها عتكف على الدراسة العميقة، ووضع «رسالة الرد على الدهريين» التي دعه إلى تصنيفها حميدة حاشيت سميه صدم رأى حكومة الهند الانجليزية مد هي انهن جماعة من سكان تلك البلاد، عرأ بهم سد الأديان وحل عقود الإيهام. وأن كثيراً من العامة هتوا بأرائهم، وحدصوا عن عقائدهم، وكثر الاستهزام منهم عن حقيقة ما تدعيه تلك الجماعة الضالة. وممن سأله عن ذلك حضرة الفاضل «مواوى محمد واصل» من حيدر آباد الذين من بلاد الهند فأحابه السيد جمال بحطاب وعده هيه بإشء رسالة هي بيان ما كثر السؤال عنه. وقد وضعها فحالت رسالة قيمة مدعية بالحجج، معرة بأسرائن انطوية. ولعد ارتأى هصبية الأستاذ الامام ابن سفلر الى العربية تعميقاً للفائدة مستعان بعارف أنى تواب أهدى الأفعانى حدم السيد جمال

كتب السيد جمال تلك الرسالة الى وعد بهي وأبن هيه مذهب الحكماء والعلامة هي حقيقة الوجود ثم نكلم عن الستشرين «الطبيين» وحقيقة أمرهم وما هم هيه من تسليين وجهلة ثم بن فصل لأديان وحقيقتهم وميزة الإسلام على سائر لأديان وأن سمعة الإنسانية لا تتم إلا به

ولما كتب تلك الرسالة مفيدة ثمينة بما هيه من اسدحت القيمة والآراء لحكمة رأيت من وحي ولا سيما وأنا أكتف عن تاريخ صاحبها ان أذكر محصناً لبعض مباحثها ليعطى لقراء هه الكتب صورة ولو مجمعة عن مدرة لرحل، وقوة حجته وسحر سانه، وشدة تشده ومقدار إيمانه وزسوح عقيدته، قال

انقسم حكماء اليونان هي اثنتين الرابع والثالث قبل الميلاد إلى هتين

الأولى ذهبت إلى وجود ذات مجردة عن المادة والمادة محالمة للمحسوسات هي لونها، مبرهة عن اللواحق الجسمانية وعوارضها واشتهرت هذه الفاتنة «بالخاصة لله» ومهمهم فيثاغورث، سقراط وأهل الأتول، وأرسطو، وغيرهم

الثانية: ذهبت إلى معنى كل موجود سوى المادة والماديات وعبرت هذه الفئة «بماديين» والعرب تقول عنهم «الطبيعيين» وهي الرئيسية «التأثيريون» وهي الإنجيلية «استشيريون»

ثم بعد المبدأ رأى هؤلاء ورد عليهم بأن الردع للنفس والذبح لها من تجاوز حد الاعتماد بما يكون بحد، أمور أربعة يلخص ثلاثة منها ويدكر الرابع لأهميته

١ - **المدافعة الشخصية** وهذه صروب وهتان يؤدي إلى مفراض النوع الإنساني

٢ - **شرف النفس** . وهي صفة معايرة بغير البلاد فكثير من الأمور حسنة عند البعض وهي بغير رغبة وشرف عند الآخرين

٣ - **الحكومة** . وهي لا تكف إلا العدوان الظاهر .

٤ - **الاعتقاد بالآلوهية** . من لم يبق للشهوة قانع ولا للأهواء رادع إلا الإيمان بأن لعالم صنعا شاك بمصممرات العلوب، ومطويات الأسم، سامي القدرة، واسع الحول والوقوف مع الاعتقاد بأنه قد قدر للحير والنشر حواء يستحقه هي حياة بعد هذه الحيرة وهي الحق أن هذين المقتضى وأرعان قويان يكبحان النفس عن الشهوات، ويمنعها عن العدوان طاهره وحسية وحاسمان صارا على معور أثر العدر وهما أفضل وسيلة لإحقاق الحق والتوقيف عند لحد، وينوبهما لا تقرر هيئة

بالاجتماع الإنساني ولا تلمس المذمومة سرمد الحياة ولو خليت القلوب
منهما لمسكنها شياطين الردائل.

من اين لشكر الجراء أن يكف نفسه عن حيائه، أو ينزعج بهد عن
كذب وعجز وتعلق، أو ي جعل يحمله على المعاونة والرحمة والمروءة
وعلو الهمة إلح من الأخلاق التي لا عسى للهيئة الاجتماعية عنها وأن
وُجد في أحد الجاحدين شيء من مكارم الاخلاق بعقتصى العزيمة لكل
استر بالقصاً عقد ما بعده من سائر صفات الكمال

وأول تعاليم البشريات الطمحين إبطال هذين لاعتقائين (١)
الله، (٢) تحياد الاندية، وهما أساس كل دين وأحر تعاليم الإباحة
والانطلاق هم الساعون في سبب بناء الإنسانية يطلبون صمعة
أركان امدينة وهما الاخلاق البشرية ويقصون بذلك ما دفعه العلم
وشادته لمعرفه فيهنكون الأمم بإطفاء حرارة العيرة وإخماد ربح
الحمية، هؤلاء جرائهم التؤم والحيائه صحتهم صيد وتودهم مكر
ومواصلتهم عذر، وعدا همتهم حيائه ودعواهم للإنسانية حيائه أسره
الشهوات لا إحسانهم بالعار لأن فيهم لا يامن من يبه وليس لا
أمان لهم من كليهما!

قد يوحى من الناس من تروقه رفقه خلوه هذه الأماعى واستظام
الرفقش فيها، هيتنس عنه أمرهم هيصمى لرحرف قولهم ويطل أن هؤلاء
تقوم من طلاب التمدن، أو من الزاعس في بث المعارف فذلك انعزور
بمظهر هذه لطائفة لا محانه ييكن عليه ويصحبك منه هالصحب عجب
من عزوره وانكده حزنأ عى صلاله

هس من فبرر ما ن انديى ومن يحط برحته من الادبال وهى

ساسة - هــصل من طريقة الدهريين وأمن بهدية ونظم لجمعية
الإنسانية، وأحمل اثرها في عقد روابط، لمعاملات، بل هي كل شئ بعد
المحتج

هــم لنق ريمة ان ادبى هو السبب الصرد لسعادة الانسان هــلو هــام
الدين على قواعد الامر الالهى الحق، ولم يهــلطة شئ من انطيل من
يرحمونه ولا يفرهونه، هــلا رب أنه يكون سماً هي السعادة التامة وانهم
لكامل ويذهب بمعتقديه هي حواد الكمال الصورى والمعوى ويصعد
بهم إلى دروه هــصل الظهورى وانطلى وترفع اعلام الهدية لطالها بن
بميص على انتمريين من ديم الكمال العفلى وانتمسى ما يظفرهم
بسعادة اندارين

وكان السيد جمال يرى لسعد الامم مورا لا نيم الا بها هــالامة التى
تسير على نهجها، وتعمل بها هي السعد، والا هــكون الشفاء حفيها،
وقد اوضح هذه الامور هي هــدية كسبه الدرد على الدهريين - يادكر
ملخصها هــدماً للمادة

الاول صفاء العقول من كثر انحرافات وصف الاوهام هــده به
تدس بها العقل لسمت حجب كثيفاً يحول بينه وبين حقيقة توضع
واول ركس شى عبه الدين الإسلامى صفى العقول بصقال لتوحيد
وتطهرها من لوث لاوهام هــمن أهم اصوله الاعتماد بان الله مستمر
تصريف الأكنوار، متوحد هي خلق المواضع والافعال و من انواحب
طرح كل قل هو انسان أو جمعد علوناً كس أو سميئاً - بان له هي
الكون اثرا بضع أو صر أو يعطاء أو متع أو هــتوار أو ادلال

و علب الأديان الموحدة لا تخلو من هذه الأوهام إن شئت ما صرنا
نظنرك إلى ديانة «سرهس» هي الهند، ودين «بودا» هي الصين ودين
«زردشت» وكثير من الأديان

الثاني أن تكون نفس الأمم مستنصه وجهة الشرف طامحة إلى
بلوغ العاية منه، بأن يجد كل واحد من نصمه أنه لائق بأية مرتبة من
مرتب الكمال الإنساني ما عدا مرتبة النبوة فإنها بمنزلة عن الطمع
وبما يحتسب الله بها من شاء من عبادته ولا يذهب وهم أحد من الأمة
إلى أنه باقصر المطورة محط المثولة فاقد الاستعداد بشيء من
الكمال

إن دين الإسلام فتح بوب الشرف في وجود الأمن وكشف لها عن
عائته وأثبت لكل نفس صريح الحق في أي هضيمته، وأسا كل ذي نطق
بوحدة استعدده لآي منزل من منازل الكرم، ومحق امتياز الأحسن
وتفصيل الأصيل، وفرد المزايا البشرية على قاعدة كمال العقلي
والنفس لا غير هالاس إنما يتفاضلون بالعقل والعزيمة وقد لا نجد
من الأديان ما يجمع أطراف هذه القاعدة.

الثالث أن تكون عقائد الأمة وهي أول رقم ينقش في ألواح نفوسها
مبنية على التواضع القويمة، والأدلة الصحيحة وإن تنحاضت عقولهم
مطالعة انظرون في عقائدها، وترفع عن الاكتفاء بتقليد الآباء فيها فإن
معتدلاً لأحت العقيدة في محيائه بلا دليل ولا حجة قد لا يكون مؤمناً
هنا يكون مؤمناً هناك، والأحد في عقائده بالظن ينصب عمله على
مناجاة الظنون، والامنع بأن «بانه كانوا على مثل عقيدته هأولى به أن
يكون عليها ينقش مع سابقته هي مصارب الوهم وهجاس الظن

إن الدين الإسلامي يكاد يكون مفسرداً من من الأديان بتفريع
المعتقدين بالأديان. وبوبح اتباعين لفظيون هذا الدين يطالب استيعاب
أن يأخذوا بالبرهان في أصول دينهم، وكلها حاطب العلم وكلها حاكم
حاكم في العقل تنطق بمصومه بأن السعادة من نتائج العقل؛ والبصيرة
وقلم يوحد من الأديان ما يساويه أو يقارنه في هذه المزية. وأخر
غير المستعجب يعترضون لهذا الدين بهذه الحصة الخفيفة.

الزابع أن يكون في كل أمة طائفة يحسن عملها بتعليم سائر الأمة.
ولا يأتون جهداً في تيسر طرق السعادة بهم ثم طائفة أخرى تقوم على
انحسار قلوبهم تهديدها وتكشف عن الأوصاف المأملة وتصبح ستور
لورائل وتشهد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن من أهم
الأركان الدينية في الديانة الإسلامية هاتين المريختين نصب العلم
لأولى عمل التعليم. وإقامة للأدب الأمر بالمعروف إنها في المنكر
ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر (آل عمران ١٠٤) «فلولا نصر من كل فرقة منهم طائفة
ليتصقها في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم
يحدروا» (التوبة ١٢٢) وهذا سر دين الإسلام على غالب الأديان في
لصاية تهدين الأمور

قال قال قيل أن كانت الديانة الإسلامية على ما بينت فيما نال
المسلمين على ممر من نحل أسبغته وأشاد بالحرية فحقونه أن
سليمين كانوا كما كانوا ولعلهم منكم ما سمعوا وعدم يشهد بتصميمهم
كتفى الآن من القول بهذا النفس الشريف «إن الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم» (الرعد ١١).

كلمت كلها إيمان، كلها قوة مليئة بالأدلة، مدعمة بالحجج، معبرة
بالبراهين، تدل على سعة اطلاع الرحن، وهيض علمه، وحرارة مبادئه
وبديهة فريخته، ومنها تدور لك صيغة الرجل الدينية بقية لا عيار عليها،
كمية لا تشوبها شائبة، ويظهر لك إسلامه صحيحاً لا نقص فيه، فانت
إدع تعمت هي تلك الآيات النبوات التي كتبها السيد جمال لوجدته قد
دافع فيها عن الدين الإسلامي دفاع الجدي الطاهر دفاعاً مجيداً،
مستقلاً لك، ليس أن الإسلام هو دين الحق، دين الكمال، دين الله جلّ
شأنه دين الهداية والرشاد، دين الهدى والرقى الذي تتم به اتباعه السعادة
في الدارين.

ما كان هذا كل مجهود السيد جمال العلمي، بل وضع عدة مذكرات
بالعربية والألمانية بعضها طبع ورجم وبعضها حين بيده وبين
أصداره ومن كتبه التي خرجت إلى حيز الوجود كتابه «نقطة إيمان هي
تاريخ الأفعار» يقتطف منه الجمل الآتية

«كثرة الحجاب ولباس هو أساس الظلم في البلاد الشرقية، حيث
يوجب تطاول أيدي الولاة والعموم على حقوق الرعايا كما هو مشهود
الآن في جميع أقطار الشرق» وقال فيه

«لا يليق بالأمراء والسلطان إذا عذروا بشخص أو ظلموه أو أصاعوا
حبه أن يصاعوه، ويعتمدوا عليه خصوصاً في مهمات أمورهم، هي
الحقد والعداوة إذا فرغت قللاً رايته».

ونذكر من كتبه أيضاً «الحلافة» الذي صدرته حكومته الهند
الإنكليزية لما فيه من أساس بها، والبرهان لمبادئها، هي الشرف، ولما
فيه من تحريض ليدن على التخلص من حكمهم.

كان يود السيد جمال الدين ألا يشتغل بالسياسة مرة أخرى بعد هذا الاصطهاد، ولكن كيف له أن يبتعد عن السياسة وقد امتزجت به دماً وحمياً، فلم تقطع عنه الرسائل من مصر، ولم تقطع هو من حاسبه رسائله إلى صدقائه وبلاطه في مصر مستمراً عن أحوالها حتى قامت الثورة العربية فلم يسع السيد جمال إلا أن يشارك مصر في ثورتها محرراً مملو لهما على القيام بثورة داخلية بقصد شغل إنجلترا عن ثورة مصر خدمة لأخوانهم المصريين

ولكن عندما هوجن الإنجليز بهذا شعروا بحظر السيد جمال فأبعده إلى كاليفورنيا، كي لا يصب بالمصريين، وشدوا عليه الرقابة وأحاطوه بالعواصم ولم يكتف بها إلا سبعة أشهر

وهي أثناء إقامة السيد جمال بكاليفورنيا انتهت الثورة العربية في مصر بمثلها، ونص الإمام محمد عبده إلى «بيروت» وأرسل إلى السيد جمال الدين خطاباً يخبره فيه عن حاله، وما انتهى إليه أمره من نص واصطهاد، وتعذيب، وتكيل.

إليك اقتباس من خلال هذا الخطاب مروة السيد جمال في نص الإمام وما يكره له من حب وإحلاس، وما يقدمه له من هروص الطاعة، وما يصممه له من أحلس وفاء، وما يعترف به من حق الاستاذه ومقام الألو.

ولقد حدثني أحد تلامذة الإمام قائلاً

«إن الإمام كان يتحاشى أن يتحدث عن السيد جمال الدين، فإذا ما دعت الضرورة الي لا قدر منها إلى ذكره، فحدث عنه ولو بعدة بسطة أو بطريق الإشارة حذره رعدة قوية، ودمعت عيناه، وأخبرني أن الإمام

قال لهم إن صيته بالسيد جمال لمعت صيته لتلميد بأسياده فحسبه ولا
صلة أح بأخيه ولكن هي صلة حب يمكن هي القلب

وهذه فقرات من خطابات الإمام المتطهرات منه لـ فيها من حكم
عائنه وأخبار طريفة، وعبارات شيقة مكمية بها مراعاة للاختصار

وتيت من ليلف حكمة ألقب به القيوب و عقل ليعول وأدل بها
شومخ اصماغ وانصرف بها هي جو طر النعوس ومبعت من ليلك
عزيمه أتمع به الثوبت وأصدع به شم المشاكل وأشب به هي الحق
حتى يرضى الحق وكنت أطل أن هدتش غير محدودة ومكنت لا ميتوبة
ولا مقدوره هاد، اما من الامام كل يوم هي شان جديد .

ومنه : «إني يا مولاي لا احدثك عن شيء مما أصابنا بعد هراقك
فقد تكمل بيانه أحي العزيز إبراهيم الهدى اللقيس سوى ما تركه في
كتبه من مصالاب بعض المطلوب من خاصيتك حتى أنهم غيروا قلب
«دولتو» باسم باشا عليك وعلى تلامذتك المصدقين أياماً معدودة ركن
فيها للعمل بالشدة ولكن أزال ما ليس المطلوب، ويطل كيدهم وما كانوا
يعملون وبرت عدة مبررة حسدش عليها لكافة من العلماء والأمرء
ورجال الحكومة، وقعدت من كل أمير مصعد النفس، فلا يطل إلا بما
يريد حكمك ولا يعمل إلا ما تشاء لـ ذلك، هكيت - وحقت - كنت بين
أظهر المصيرين ساعدت هبهم إلى مفاسدك العاصه طالباً بهم أرح
السعادة ودروة المجد والمخير . وألقب لحبك ممن حرم التشرف بلفانك
فنبلاً ليس بالقليل يحنون قدرك ويعززون لك هصلك، وكذا و جوانبا كه
شرح لك إبراهيم الهدى اللقيس

وبكى هذا ثم ينهى عن طلب الانتصاف لك وكنت أصل إلى ذلك من طريق مألوف ومذهب معروف، ولكن علمت على الأمر فطاع طريق الخير، اللامعين ثياب الأنبياء، انحطوا طريقهم في الدعوة إلى الحرية، وتمكنوا بقوة اسيف وضعف الحكومة من اقناع العامة بكونهم دعاة الحق وحماء القانون.

وها نحن مساكين في سبيلك وعلى سبيل وكما كذبت ولا تزال إلى انقضاء الأجل ولولا اطفالنا لنا رضيع، وساء لنا طوع بنا لهم الدل وبعد بهم انصميم، هائبا بهم إلى هذا حيث أقمت لكنت ول من تلقاك في مدينة باريس لأسعد بالاهمة في خدمتك وأهجر سبيل على العالمين

معهد عيله

هذه حقيرة من كتاب الأستاذ الإمام إلى أستاذ السيد جمال الدين وأنت كلما أطلقت النظر ههنا حوته من معنى ليلفت هذه انهضية والارتك كيف كان تقدير ذلك الإمام لأسيده وتديسه ليدنه وتقيعته

جمال الدين هي أوربا

في لندن

شخص جمال إلى أوربا بعد أن أقام بالهند نحو ثلاث سنوات هاج
مجهوده العلمي فيها مجهوده السياسي، حيث وضع عدة رسائل كما
قدمنا

ودهب بعض المؤرخين إلى أنه سافر خلال هذه المدة إلى (أمريكا)
ومن هؤلاء «ولسن» إذ يقول في كتابه «الحركات الحديثة» «إن جمال
الدين سافر أيام كان في الهند إلى أمريكا ليتحصن بالحسنية الأمريكية،
والكتبه لم يبق بها».

ولا نستطيع أن نعلم بهذه الرواية لأن (براون) وهو الذي كان صديقاً
حميماً للسيد لم يشر إلى سفره إلى أمريكا في ترجمته له في كتابه
(الثورة المارسية)، ويقول المستر بلنت وهو صديق أيضاً للسيد جمال هي
كتاب «التاريخ المصري»

«ولقد ذهبت حيث كل الجهود التي بذلتها لمعرفة مقر السيد جمال
الدين هي أمريكا حيث قيل لي إنه ذهب إليها بعد أن قصى عاصم
يتجول في الهند».

وقال مبشرين هي مقدمة رسالته أن رسائل جمال التي لم تشر
وانتي أتبع لما الاطلاع عليها ندل على أنه لم يكن من الممكن أن يقوم
بهذه الرحلة

وسواء تحققت رغبة سمير إلى أمريكا أم لم تتحقق فهو لا يسيب من ذكر اسلاذ التي سافر إليها إلا ما تركه من الآثار والأعمال التي تركها على الاعتراف بوجوده فيها

وعلى كل فهد سراج السيد جمال الدين بلاد الهند في منتصف سبتمبر سنة ١٨٨٣م، بعد أن قضى في كلكتا ما يربو على سبعة أشهر في معزل عن الحياة قطع عنه البريد فيها، وبعث رسائله وحرموا عليه قراءة الصحف ومن هو مثل جمال الدين لا يستطيع أن يعمى عليه يوم بلا اطلاع على الصحف، ودور أن يلم بأخبار العالم الإسلامي، فصحت عليه تلك المدة وكان يعتبر منه أنه في مقبرة مطلية

أطلق سراح السيد بعد احتلال انجلترا مصر، فسافر من الهند بحرا عن طريق البحر الأحمر قاصداً لندن هودعه رجال الهند وعلمائها أحسن وداع وأثوا عليه بأطيب عبارات الشاء

ولما وصل السيد إلى بورسعيد كتب إلى الأستاذ الإمام كتاباً أخبره فيه ب سفره، وذكر له المدينة التي سيزل بها وكان الإمام قد حكم عليه بالنفي من القطر المصري ولمحماه لمدة ثلاث سنوات كما حكم على كثير من تلاميذ الحكيم الذين اتهموا في الثورة الفرابية إلى مدة محبسة من سنة إلى عشرين سنة وكانت تهمهم - جريمة العصيان

وصل السيد جمال الدين عاصمة بلاد الإنجليز وأقام بها أياماً فلم يطلب له المقام فيها لأن الإنجليز عملوا على صطهده وبعديه لأن الدين لم يصلوه في داره وحازبوه في بيته لا بد أن يعملوا على رجليه من عاصمة بلادهم.

وقد انتهى السيد جمال الدين في لندن بالفيلسوف الكبير هيرزرت سبتمبر، فسأله هذا قائلا ما هو العدل؟

فحماه السيد جمال فاثلاً بوجد العدل ضد ما تتعادل القوى
 وبما احاب هذا الحواب لأنه يعلم ان اليسوف الانجليزى لا ينتظر غير
 هذا الحواب وأن اسبحر في الحبال أو شعل بأهداب مثل انبيا في
 وصف العدل ان يحدى لدى هيلسوف ما عرفت بما عرفت به الأمة
 الإنجليزية

فال السيد جمال بهذا على انه رجل عمل، وانه داهية في السياسة
 وانه سريع النديه قوى بحجة مشغل الكاء بعيد ارمى
 بوجد العدل عندما تتعادل القوى ! اما إذا تفاوتت فيسقط العدل ولا
 يبقى له وجود ما إذا تفاوتت فلا شك في أن يلتهم القوى الضعيف، أما
 إذا تفاوتت فتندو الأساسية هي ثوب تتوحش ما إذا تفاوتت فالحق
 للقوة !

في باريس

عصب الانجليز في وجه السيد جمال هزم العدل الكفاء بينهم فاستغل
 ابي باريس عاصمة فرنسا باركا لدى غير مبال عن فيها
 ساهر السيد ابي باريس بعد ان اقام في لندن مدة يسيرة لا يدرى عن
 مراسلاته مع تلميذه الإمام فيها شيئ

وهناك في باريس بدأ السيد / جمال حياة جديدة لخدمة الاسلام
 والشرق وكتب في الصحف الفرنسية مقالات تربت الحكومات
 الاستعمارية وبالأخص حكومات لبريطانية وقبائله هناك الصلاصة
 حكما، يدس المحسوا به وعثرهوا بقوة وهذرته تذكر منهم ههوتو
 .. ريس، ادى .. بينه وبين سيد جمال حوار في مهاب

المصحف الفرنسيه جريدة الدنيا هي موضوع الإسلام والعلم، وكانت المناقشة تدور بينهما حول صلاحية الإسلام وقبولته بمعية الحديثة.

وقف السيد جمال للاستماع بأصل مع الحق ويدفع الساطل، يدفع عن الصعفاء ويعمل على رفع الظلم وقف لهم مدافعاً عن الإسلام مثبتاً لهم - ما هو من الحقيقة بعكس - أن الإسلام منعمش مع المدنية في حدود المعقول، وأنه دين عام حائز

وقف السيد جمال موقفه يسطه عليه كل فيلسوف، هاكبروا فيه عبقرية وسعة علمه وهوة حخته مما حمل (ريسان) يقول عنه بعد أحد ورد ونقاش في الموضوع افتتح بعده

«يجيل إلى من حرية فكره وسالة شبعه وحسره أنه أتحدث إليه أنى أرى وحيا يوجه أحد من عرفتهم من انقضاء العالمة، وأنى أشهد «بن سينا» أو ابن رشد أو أحد من عرفتهم من أساطين لحكمة الشرقيين الذين طردوا خمسة قرون يعملون على تحرير الإنسانية من الأسراء

واقف دارت بعد ذلك مناقشة بين السيد وبن (ريسان)، «سيوفيل» حوليه اللذين ذهبا إلى أن العالم شطران ساهى، وارى، يعدولان من ذلك استنباط حسائهن المراج اعقلن في كل منهما ثم ذهب بعضهن إلى أن العقل السامى يجمع بين الأشياء متعاسية وغير متعاسية بدون ارتباط بينهما، أما العقل الأرى فهو يؤلف بين الأشياء بارتباط يصل اليه بعض باليعض ولا يشمل من أمر إلى أمر إلا بعد تدرج

هاكبرى لهم السيد جمال اندين وصدهم عن هذه الآراء مشتتة لهم أن مسألة الفرق بين المراجين السامى والآرى إنما هي كالشعوب ترجع في الحقيقة إلى العصبية أكثر من رجوعها إلى العلم

ولم تنقطع المناقشات في هذا الموضوع بعد وفاة السيد جمال بن
وقف لصددهم ومهاجرتهم الأم تدر الإمام محمد عبده. وقد وضع رسائله
في هذا .

هذا ولقد كتب السيد جمال مقالا صاعها عن الإنسان الراعي تحت
عنوان «الإنسان الراعي ملاك أرض».

هنا هي هه هما يلزم الاعتقاد بأن الإنسان أشرف المخلوقات ترفع
المعتمد بحكم الضرورة عن الحصول البهيمية، واستنكافه عن علاقة
الصناعات الحيوانية، ولا ريب أنه كلما قوى هذا الاعتقاد اشتد به ليعور
عن مخالطة الحيوانات في صفاتها وكلمة اشتد هذا المعور سما بروحه
إلى العالم العقلي، وكلما سما عقله أوهى على المسية وأخذ منها بأوهى
الخطوط، حتى قد ينتهي الحال إلى أن يكون واحدا من أهل المدينة
العاصلة، يحيا مع إخوانه الواصلين معه إلى درجته على قواعد الحياة،
وأصول ابدانة، وتلك نهاية السعادة الإنسانية هي الدنيا، وعية ما يسعى
إليه العقل والحكماء ههها

ههه العقيدة أعظم صارف للإنسان عن معارضة الحميم ابوحشية
في معيشتهم، والثيران البرية في حالتها، ومصاربة الهائم السائمة
والدواب لهائم، والهوام الراسخة لا تستطيع دفع لصار ولا تهدي
طريقا لحفظ حياتها، وتقصي أجدها هي دهشة الصرع ووحشة الانفراد.

ههه العقيدة أشد وأحر لأناء الإنسان من التماطع المؤدى لاهتراس
بعضهم بعضا، كما يقع بين الأسود الكسرة، والوحوش الصارية، والكلاب
العاقرة، وأشد مانع يدفع صاحبها من شائكة الحيوانات من حساش
الصناعات. وههه العقيدة أوجب داع للعقل هي استعمال قوته، وأقوى عامل
في تهذيب النعوس وتطهيرها من دس الردائل.

إن شئت ههه سطر العقل إلى قوم لا يمتثلون هذا الاعتقاد، بل
يظنون أن الإنسان حيوان كسائر الحيوانات، ثم تبصر ماذا يصدر عنهم

من صروب الدباب والردائل، وإلى أي حد تصل بهم الشرور، وبأي مبرلة من الدماء تكون نفوسهم، وكيف أن السقوط إلى الحيوانية يقف بعقولهم عن الحركات الفكرية

بهذا الأسلوب كان السيد جمال يحاطب الملازمة والعلماء ويكتب من أمهات الصحف والمجلات

فليظن من شاء في بواحي الرجل، وليتحد من أحواله الحزنية سبباً لحكم عام يجعله ميزاناً

كان السيد جمال كما رأيت يستطيع أن سائل أكثر الملازمة العرب من الذين يتشدد كثير من الناس بأنهم يعلمون بعضاً من بحوثهم ويحفظون كثيراً من ماثورهم. كان السيد جمال يتأصل هؤلاء ويحاذهم في كبريات المسائل التي تعد أمهات الشؤون الاجتماعية والسياسية، والتي هي مشار الخلاف في كثير من فروع البحوث في الاجتماع والدين والسياسة

كان السيد جمال الدين يدافع هؤلاء الملازمة فيد همهم إن لم يصرعهم ثم ينشئ بعد على كرامة الشرق، ويحافظ على قواعد الإسلام، دأبها بها في جو السماء صالحة واصحة ظاهرة ظاهرة ظاهرة حتى ينظر إليها من كانت هي أخط الغشور في نظره ينظوه إلى أكبر معبود مقدس، وكذلك استطاع السيد جمال أن يسه العالم أجمع إلى جمال الإسلام وجلاله وعزته وكبريائه.

باحية في جمال الدين لا يقوم بها سواء إلا من نفع فيه من روحه، من أمثال الأستاذ الإمام، وهو مسلك به حظورته، وهو العماد الذي قامت عليه دعوة الإسلام فدخل الناس في دين الله أفواجا

فرحمك الله يا جمال الدين فقد سددت للإسلام والشرق ثغورا ما كان يسدها غيرك.

العروة الوثقى

بعد عام من مقام السيد جمال الدين في ورنبا منتقلا بين مدينتي، أي في سنة ١٨٨١م أرسل إلى تلميذه الأمام محمد عبيد بالتحضير وقد كان ممينا في بيروت بسبب الثورة العربية فأجاب دعوة أساتذته وسافر بها إلى ورنبا ثم انتقيا هناك في نازيس وكان السيد جمال قد أسس جمعية من مسلمي الهند ومصر وشمال أفريقيا وسوريا وغيرها أسماها جمعية العروة الوثقى، وأسست لجمعية رياستها ابن السيد، وكان مصر هذه الجمعية مدينة باريس، وكنت مؤلفة من عهود كثيرة ولها قانون محفوظ في الصدور لم يطبع حتى أن يعرفه من ليس من عصبتها وكان هذا سببا في فسادها والجمعية تسمى الأعضاء عند الانتساب إليها، وه هو بضم

أقسم بالله العاظم بالجنس والكنى، والجنس والحصى، انضم على كل نفس بها كسبت، لأحد بكل خارجة بما احترجت، لأحكمين كتاب الله تعالى في أعماله وأخلافه بلا تأويل ولا تضليل ولا حيس داعيه فيما دعا إليه ولا اتقاعد عن تكليفه في أمر ولا نهى، ولأدعون لصورته ولأهله بها ما دمت حيا، لا أفصل على أمور بها مالا ولا ولد

أقسم بالله مالك روعي ومالي القامض على ناصيتي انصرف لأحسب وحده في الباهر لمن يصوره الحادل لمن حدته، لأبذل ما في وسعي لأحياء الأحياء لاسلامية، ولأنسها منزلة الانوة والنوة

انصحيحتي، وأعرفها كذلك كل من «رابط برابطة العروة الوثقى»
 وانظم من عقد من عقودها، ولازاعيتها في غيرهم من المسلمين إلا أن
 يصدر عن أحد ما يصدر مشوكة الإسلام فاس أيدل جهدي في إبطال
 عمه المصير بالدين وخذ على نفسي في أثره مثل ما أحد عليها في
 لدافعة عن شخصي

أقسم بعبية الله وحبروته الأعلى إلا أقدم إلا من قدمه الدين، ولا
 «وحر إلا ما أحرم الدين ولا أسقى فيها وحدة أنوهم فيها ضرراً يمد على
 لدين حرثها كمن أو كلب والا احالف أهل لعقد ائدين ارتبطت معهم بهذا
 اليمين في شيء يتفق رأي كثرهم عليه، وعلى عهد الله وميثاقه أن أطلب
 التوسل لعموي للإسلام والمسلمي وما جهله «طلب علمه من الصادق، لا
 دوع وسيلة حتى حيث بها بقدر ما يسعه المكاني الوجوري «سأل الله سبحانه
 العون والقرب الآمل وتأييد الفائت بأمره والتأشير لواء دينه

لم يمر وقت على إنشاء تلك الجمعية حتى رعبت في أن يكون لها
 مجلة نسبر عن عرائصها وعابيتها فعهدت إلى السيد حميد وتلميذه
 الإمام محمد عبده إنشاء «مجلة العروة الوثقى» فكانت هذه المجلة
 جامعة بين روح جمال ائدين وقلم الشيخ محمد عبده، فجمعت بين قوة
 المعنى وزينة اللفظ وكان نكتتها أثرها الفعالي في المسلمين لما كانت
 تدعو إليه من احباء مجد الإسلام والعمل على رفح شأن المسلمين،
 فأحدثت من قلوب الأمم الإسلامية والبلاد لشرقية ماسم يأخذه وعظ
 الواعظي والرشاد المرشدين فأنقعت لروح اومضية وأحب هبهم شهامة
 لعرب وعربهم، وسهنتهم إلى خطر الاستعمار وسناسته، فكانت لا تقع في
 يد مسلم ويعبر هبها ما أصاب المسلمين من الأذى والأوبى لآلم في
 نصبه وتحيش النخوة الإسلامية في صدره، وكان لها أبلغ التأشير في
 تغيير محوري حياة الكثرين من علماء الإسلام وزعماء الإصلاح فيه.

وبيعا للعالم الإسلامى يتمس لها البقاء طويلا ويرجوها الديوع
 ولا انتشار إذ الإنجليز يشبهون إلى ما هي تلك الحريدة من الأفكار الحرة
 الهيبة لشعور المسلمين والمثيرة لحواطر الشرفيين ضد الاستعمار
 فعلوا على منها من الديار المصرية والهند. ومعاكستها هي كل مكان
 حتى حمت صوتها ولم تعمر سنة على ميلادها إذ طلع أول عدد منها
 هي ٥ من جمادى الأولى سنة ١٢٠١هـ الموافق ١٣ من مارس سنة ١٨٨٤م
 وصدر آخر عدد منها هي ١٦ من أكتوبر سنة ١٨٨٤م فلم يصدر منها
 سوى ثمانية عشر عددا. ووقع حبر مصادرتها على البلاد الإسلامية
 كالصاعقة يصم الآذان دويها، وقوبل عمل إحتلتها بالاستهجان
 والاستنكار من جميع الأنحاء

لم يكذب يظهر العدد الأول من الحريدة حتى انعقد مجلس النظار
 المصرى هي القاهرة وأهتتم بالبحث هي شأن العروة الوثقى، ثم أصدر
 قراره إلى نظارة الداخلية المصرية فأصبا عليها بأن تشتد هي مع هذه
 الحريدة عن دخول الأقطار المصرية وتراقب حركاتها هي تلك الديار،
 فصدر أمر الداخلية إلى إدارة عموم البوسطة يلزمها بالدقة هي ذلك، ثم
 أعلنت الحريدة الرسمية بعد نشرها الخبر أن كل من توحد هذه العروة
 الوثقى يعرم مبعلا من خمسة حبسات مصرية إلى خمسة وعشرين
 جنيتها

ولكن هذه الوعود وتلك التهديدات وذاك الاحتياط الشديد من جانب
 البوسطة لم يمنع الحريدة من دخول مصر.

نشرت المصحف حبر هذا الأمر ومصادرة الحريدة مماطلع السيد
 جمال عليه هو وتلميذه الإمام مكتبا مقالا يبددان فيه بمياسة الإنجليز
 بقتلطف منه الآتى

لا يظن أن أحدا من النظار المصريين له رأى احتياري في هذا القرار بل لا يتوهم في المستوى على كرسى الخديوية ميلا إلى مثل هذا الحكم، ولا يحتج في صدورها أن مصرها من أي مشرب كان سواء المسلم أو غير المسلم منهم، بل ولا شرفها ممن يسكن تلك البلاد، يرى فيه حائسا من العدل

هذه جريدة قامت بالدفع عن المصريين والاستشهاد لهم، ولها معنى - بل كل المعنى - لحياة آمال أعدائهم، ولا ترى من مشربها مدح ريد ولا القبح في عمرو، فإن المقصد أعلى وأرفع من هذا، وربما عملها سكب مياه الصبح على لهاب الضمائر لتتلافى قلوب الشرقيين عموما على الصفاء والوداد، تتعجب من أساء الأمم لشرقيها أن يلقوا سلاح التارغ بينهم، ويأخذوا حذرهم واستحاثهم لدفع الصواريخ التي فمرت أفواهاها لانتهاهم، ومن رأيها أن الاشتغال به لحل البيت إنما يكون بعد لامن من طريق المناهب، ولكننا نعلم أن حركات الأمور في القطر المصري هذه الأيام فهرية لا يحاطلها شيء من الاحتيال، و لدير لرحى القهر عليهم هو عمال الإنجليز

هذه هي جريدة العروة الوثقى جريدة السببية والأدب والحكمة والفلسفة والتاريخ.

كان أسلوبها رزيا مليعا عدما سلسا، فيه قوة وليس ومعلم بلغت حد الدقة والكمال كأنها ليست من أفكار البشر بل هي عن الكثير منهم أبعاد مبالا من الجوراء هي ألق اسماء

وكانت كالمصاعقة الشديدة التي تزل بالقوم فتجعلهم في ذهول وحذر، وتركهم وهم ألم محض وهي بمسهم حزن عميق، فهي تبرزل الاستعمار ودوله وتقوض عرش الاستبداد

وهذه هي جريدة العروة الوثقى التي هجر منها الإنجليز حكومة

وشعباً وحملوا منها حصصاً لهم يكفحونه ويحاربونه سرّة بالمصادرة
وطوراً بالكتابة عنها والدعاية صدها، وهي رابضة لهم سرعرة لمرشهم
مستوية نفوتهم ساحرة بأوج عظمتهم

هذه هي الحرية التي ما وهب الانكليز على حبر ايشائها حتى
احبت ارباب الصحف فيها الحدة، وحببت هيهم نار الحمية وأبدوا
حكومتهم بها تؤثر هذه الحرية هي سياسة الإنجليز وسودها هي بلاد
المشرق والحبو، عليها أن تعد كل وسيلة لمنع الحرية من الدخول في
البلاد الهندية والصميرية، بل تطرفوا مصححوها أن تلزم الحكومة
استمابة بالحجر عيها، ولم سل كل هذا منها شيئاً ولا حرك ساكناً ولم
يسمها قانون مصحريها عن تلك البلاد من الدخول هيها وتدأولها
ومدارستها.

نعم كانت كلها قوة وكلها إلهاماً، وقرؤهم القارئ هم يكاد ينهي حتى
تأحج في أرجاء صدره النار، وينلى في هروقه الدم هتشتغل في نفسه
ثورة المستعبد لاسترداد حقه

تلك هي الحرية وهذا مقدار بأشرها هي نفوس الأفراد والشعوب
والعقول المستندرة والأفكار البظطة والأمم الساخصة والشعوب المتحدة
والهمم القوية والأخلاق القويمة، كل هذا نتيجة العروة الوثقى.

جهاد السيد جمال في سبيل السودان

فلل جمال الدين صفة حياته العدو السود لسريطات فكان يناصرها
العداء في كل بلد يحس فيها، وبحلق لها في مستعمراتها الشاعبات
واشورات. ويعمر في سياستها في الشرق الاسلامي ويتحين لها لفرص
بتقويض دعائم سلطتها وقصائدها في بلاد الشرق، فبعد هدم ثورة
«محمد أحمد» المعروفة بثورة المهدي بعد احتلال إنجلترا مصر حتى
انصل الحكيم وتلميذه الإمام وهما بأورنا أيام كانوا يصدران العروة
الوثقى «بمحمد أحمد» القائم بدعوة المهدي، ووقفا على ما كان يرد
لإنجلترا من رسائل اتباعها في مصر والسودان من الأحيار، فأحدا
يعظمان، مره ويأمن في هوته وعنفوته، ويوهمان الإنجليز بأن المهدي
هذا هو صاحب الأمر النافذ ولكلمة الطاعة في القبائل السودانية، وأنه
رجل شديد الذكاء واسع الخبرة قوى الحجة محبوب من العامة والخاصة
تهانه الناس ويحلّه الكبراء

حتى أقنعها بترك السودان أو الاستعاب فيه، وههنا شرعت حكومة
الإنجليز في هذا العمل إلى إبرام معاهدة بينهم وبين السودانيين لم
يحل دون بمصباتها إلا وفاة محمد أحمد هذا فنكصت إنجلترا عن
عهدها، ونكصت ما أبرمته من قبل

وكان عرض السيد في الممثلة السودانية إخراج الإنجليز من مصر

والسودان. هذا لم يتيسر ذلك سوى إلى إقصائهم شرك السودان تكبير
الثورة المهدية في نظريهم والتهويل في خطرهما

إذا ما تم ذلك استطاع أن يذهب السيد وتلميذه إلى السودان جميعه،
ويطعما فيه الثورة قوسلا لايقاد مصر وتأسيس دولة قوية يعمر بها
الإسلام والشرق

وهكذا جاهد كل من جمال الدين ومحمد عمده في سبيل إيقاد مصر
ورفع راية الاسلام وتأسيس دولة الانجليز في البلاد الاسلامية مما
اصطغر اللورد « سلسيوري » «تشرشل» أن يستدعيه جمال الدين
للتفهم معه في مسألة المهدى. فأظهر لهما خطأ إنجلترا السياسي
خصوصا نحو دول الإسلام في الشرق، فقالا لجمال الدين إن بريطانيا
تعلم مقدراتك ونحن نعلم زناك قدره. ونحب أن نسير مع حكومات
الإسلام بمودة وولاء على قدر ما تسمح لنا به الظروف. بذلك تصورنا أن
تربطك إلى السودان بصفة سلطان عليه، فتستأصل حدود هبة المهدى،
وتعهد المسبيل لاصلاحات بريطانيه فيه، فرد عليهما السيد جمال ساحرا
إذ قال تكليف غريب وسعة في سياسة ما بعده سعة. أسمعني يا حصرة
اللورد. إن اسألت هل تمكنك السودان حتى تريدوا أن تسعوا إليه بسلطان؟ لا
مصر للمصريين والسودان جزء منهم لها وصاحب الحق الحليم الأعظم في
شرق وامنه من الجيش المادى والمعوى ما يتدلل معها كل صعب وهنة في
أجراء لممالك الاسلامية وإن كان هدفكم هو مجرد الإصلاح فانى الت
نظركم إلى إيرلندا وما تعديه من صيروت اللاء هيما يشده لنفسها من طلب
الاستقلال يتسنى لها سلطة الإصلاح لتحقيق ليلائهم، فلماذا لا تحييونهم
وهم أقرب اليكم. وبينكم وبينهم من الجامعات ما هو معدوم لكم في مصر
والسودان وغيرهما من ممالك الشرق

وقد كتبنا مقالا قداما فيه :

«لا عار على أمة قليلة العدد ضعيفة القوة إذا تعلبت عليها
 أمة أشد منها قوة وأكثر سوادا وقهرتها بقوة السلاح، وإنما العار
 الذي لا يمحوه كز الدهور ولا ينسيه تطاول الأزمان هو أن تمسح
 الأمة أو أحد رجالها أو طائفة منهم لتتمكن أيدي العدو من
 نواصيهم

علينا أن نرفع أعلام المحبة الوطنية ونحمل عوامل الشهادة
 الإسلامية ونوقد ميزان العيرة الحسنة، لنحب أمان الإنجليز ومرد
 كيدهم من بحورهم ونقدم بأوثق العملين الذين يميلون إليهم خارج
 تحوم هذه الحياة، نلحقوا بالحنين من سبقهم، ويدفروا عذاب الهوى
 بما كانوا يكسبون، هذا إذا حرص اليأس من تفتظهم ورجوعهم إلى
 الحق والصديق في محبة الأوطان ورعاية مصالحها، فإن تابوا وأصلحوا
 وأنابوا كان الحق ظهيرهم وكان الله دليلهم ونصيرهم».

جمال الدين في هارس

حصل صوب حريده المروء الوثقى كما حصلت صوب «جماعة ام القرى» من قبل وبعد ان صودرت الجريدة رحل الامام محمد عبده إلى سوريا وهد كان جمال استدعاء إلى باريس يشتركا معا في تحريرها كما تقدم ثم مكث بها مدة قصيرة انتهت بها مدة بفيه. فتوسط به بعض حالات مصر لدى الحديوى فأباحت له العودة إلى مصر

بقى السيد جمال الدين في أوروبا منتقلا في بلادها بين لندن وباريس. كتب في المحلات وتصحف منادى العصيلة مستعيث بالعدل مظهرا للرأى العام تصديرات الإنجليز في الشرق إلى أن تألفت لجنة من (الستر بلنت) و(اللورد شوشل) (اللورد سلسبرى) لتقاضيهم مع السيد جمال الدين في مسألة السودان بعد ثورة المهدي كما يقرر أيضا أن تذهب بعثة بريطانية بصحبة السيد إلى الأممية للمباحث مع السلطان عبد الحميد ، للوصول إلى اتفاق ينصمحلأ، عن مصر وتحالفها مع تركيا ويران وأفعانسال ضد روسيا

ولكن بعد ان استعد الحكيم لسمر وبعد ان حثرت له تذكرة السفر مضى إلى إنجلترا عهدها ورفضت سفره فاعتزل السيد بهذا واشتد حيفه عليهم وبقى مستمرا في كتاباته وخطبهاته المثيرة، بحث في سياسة روسيا وإنجلترا والدولة العلية ومصر وترجمت حرائد إنجلترا كثيرا منها لمعرف ما يكنه السيد صده من المساوى ويهد من النظام

بقى على هذا محامداً في الحق داعياً بتعديل عامله للإتصاف بالدول الصغيرة إلى أن عزم على السباحة في البلاد بقرينة من بعد فالحجاز والعراق وسما هو على هذه لأهله استخداً شاماً انصرس في ذلك المرحوم ناصر الدين شاه على أصناف المرق وشهد في الدعوة فذهب السيد جمال في حمادى الأولى سنة ١٣٠٢ هـ (فبراير سنة ١٨٨٦م)

ذهب السيد إلى فارس بعد أن مضت مدة طويلة وهو بعد عنها سار السيد جمال فاصداً (طهران) فالتقى في أصغها بالأمير (طل السلطان) فلاقى فيه بكراً وأستقبله استقبالاً رسمياً حتى بدأ وصل طهران استقبله الشاه حسن استقبالاً فها كانت قدما تظاً (أصغها حسن استقبال استقبالاً بهراً في الأمراء والعلماء والعظماء وشهدوا بمفضله وعينه الشاه وزيراً للحكومة مع هيئة مستشار خاص للشاه على أن يرقبه بعد قليل في منصب المصادرة، واكثر الشاه في الشاه على جمال حينما ذكر حتى في بلاطه وبين هله وأولاده

وكان جمال ليس هو درس الحقائق الأمم وعرف تواريح الدول وتدرج الأحوال السياسية على اختلاف الأمكنة ولازمه مع بلاطه وقوة برهانه، فنام بدعاء لبطانة والاستشارة خير قيام. وفي نفس الوقت كانت لهجة شديدة وصريحة بزم تعيين كل قدم من دائرة الحكومة لمارسية، وبصره بالأحد بينهما الأمة ومشاركته في حكم دينا هاتف أمره، الفرس ومعناؤها حوله، واقسموا به أنهم يمدحون بما يأمر به هذا، بعدم المبرح فبال عبادة أهل الفرس في أن يسلها غيره، فاصبح منزهة حلقه علم يؤمها سراء لبلاد ووجهها ويتساقون إلى سماع حديثه فصاعف همد انصارد ومريديه لعارضة علمه وسحر بانه وفصاحه بسنه وعيزته اقوية علي مصلحة البلاد واتسع بعوده وأصبح امره مطعماً وطلته محاباً ذا سلطان قوى وشوكة شديدة لا على

المستبشرين وأصحاب المناصب هم حسب ولكن على كل الناس، فحافظ الشاه على سلطانه، وحافظه ريب من أمره، فشكر له . وقام العلماء الجامدون من جانبهم بما طاعت عليه نفوسهم من تخلف و تحسد يصبطهدون جمال الدين ويشوهون سمعته، ولكن السيد جمال ذا الإحساس الشديد والنفس الأنية أحسن بهذا التشجيع من جانب الأمير والعلماء هسفتان الشاه في السفر إلى روسيا لتحديد الهواء، فعلى هذا الطلب ارتياحا في نفس الأمير وسرعان ما أذن به .

جمال الدين في روسيا

سافر السيد جمال الدين إلى روسيا ونزل «موسكو» هلاقه أهلها بالنجدة والأكرام لما سبق إلى مسامعهم من شهرته، ثم شحص منه إلى «سان بطرسبرج» عاصمة روسيا، فاستقبل فيها بالحفاوة والترحاب وتمتع بأعظم رجاها من العلماء والسياسيين، وكان فيها موضعاً لإكرام القيصر، وتقدم إليه رجال الصحافة طالبين منه أن يكتب لهم مكان مقالاته عن سياسة أفغانستان وإيران وتركيا وبريطانيا أثر عميق في الدوائر السياسية

وكل من معاً خدم به المسلمين هناك ففتح القيصر بحسن معاملة المسلمين، والآن هم يطبع «المصحف الشريف» وبعض الكتب الدينية وأن سلك، وقد نشرت جريدة (العلاج) التي كانت تصدر في القاهرة مقالا في هذا الموضوع.

ولقد توسعوا له في المملكة الروسية محالاً، وسمعوا لأحاديثه، وانتصروا سياسيته، حتى أن القيصر دعا بقصره وتحدث معه طويلاً وسأله عن سابق احتلافه مع الشاه، فذكر له رأيه في الحكومة الدستورية ونفذه الشاه فيها فقال قيصر «يؤي الحق في حاسب الشاه، إذ كيف يرعى ملك من الملوك أن يتحكم فيه هلاخو مملكته؟» وأجاب جمال بجرأة «أعتقد يا جلالة القيصر أن عرش الملك إذا كانت الملايين من لرعية أصدقاء له فذلك خير له من أن تكون أعداء» فغضب القيصر،

وفاء من مجلسه وودع السيد بعض الحموية التي استعملت بها، ثم أوعز
لى رجال بلاطه ان يسرعوا بتلصيق باجرأحه من روسيا

سفره إلى فارس :

وسمى هو (بطرسرج) رازها شاه ابن ناصر الدين وأظهر هناك
عبه في نقاء السيد جمال فبلغ السيد ذلك فرفض ولم يحبل به

وتمنى ان ذلك ن هتج معمر من فارس سنة ١٨٨٩م فشحص جمال
انها وكان قد سبته الشاه ليشاهد المعرض، فالتقى في «ميونخ» عاصمة
«بافاريا» وكان انشاء عدد من مدرّس، فدعاه الى مرافقته وألح عليه
الشاه مع العلم بأنه هو الذي ارتاب في أمره مما جعله يسهر إلى
روسيا - في العودة إلى فارس حتى لا يه وأحب الدعوة، وسار في
معينه الى فارس فلم يكد يصل طهران حتى عدد الناس إلى الاجتماع به
والتصاع بعلمه وقبول يمثل ما حول به في المرة الأولى بل كثير

وطول بإقامته وأحبالاطه بمحبية جميع بين السلطة العلمية والعملية
وبدت بهمة إصلاحية حيث تولى رئاسة الوزارة، ولقد قال السيد جمال
بعضه في بعض محاضره في الأسبانية للشيخ عبد القادر المغربي إن
بعض الكبراء من المذنب وغيرهم جمعوني بالشاه ناصر الدين فترعب إلى
ان أذهب معه إلى بلاده فيجعلني رئيس وزارته، فأبيت لأني عرفت على
السياس إلى معمر من فارس ولا أحب أن أنقض عزمي، فالح على
بالذهاب معه، وكان يقول على هذا رجل العالم السياسي «تحرير
الجدير بأن يكون رئيس وزارة ويقوم بتدبير الشعب، فقال له الشيخ
عبدالمعز كيف يدهوك الى ذلك وأنت مشهور بشدة رصتك في تشييد
عقائد أهل السنة أقتال المبيد جنون وهوس منه، وبعد أن مكثت مدة
في بلاده طلعت بالذهاب إلى أوروبا فبعضي وسمعت منه كلاما حشوا في

حصرياً ، و قد ردت عليه قائلاً : أني لم أجعل عليّ ر قد عملت الحيلة
 و ردت لي مقام عبد العظيم وهو من احماد بعض الأئمة ومقامه حرم
 من ربه كان أمي هككث هال سبعة أشهر ، ككث هي أثنائها عدة
 مقالات وحررت في الحر يد حملة ككثات هي مثالب الشاء المذكور وحث
 الشعب علي خلفه ،

بقي السيد جمال الدين هذه المدة وما اذتاب الشاء في أمره كال
 سياحته في أورب محب كثيراً من شكوكه ، فكان يقره منه ويوسطه في
 ههنا ككث من مهمات حكومته ، ويستشوره في سن أنقو بين وبعوه
 وهي هذه الأتمة رعب اليه المفسهون من علماء هارن وسأسها ان يرسم
 بهم قوانين ديمورية بحري الأحكام هي نصباها من الصفة والعدل وتكرم
 الأحكام العمل بمقتضاها فأسر جمال الدين ذلك في نفسه ولكن لم
 يستطع كتمه لأنه كان لا يحسن فكرة ولا يحبط بقوة نفسه ان يجهز
 بما يحيش في صدره ، وكان يجد في رة أحكام انجم مالا يطبق عليه
 صبراً ، فتطلب في عرض هذا المشروع على انشاء هاستصونه ونقلته
 قولاً حسناً وجمال الي الموافقة عليه من طلب من السيد أن يسي م براء
 موافق من القوانين ، فاستجاب ووضع به انقامون الأساسي لمعكة هارن
 يكون حكومة ملكية شورية ، ولد أطلع الشاء عليه عظم عليه الأمر .

ولكن تلك الموافقة شقت على أصحاب النمود حصوب اصبر
 لأعظم ، ميرزا علي أصغر خان ، المص بأمير السلطان هما كان منه الا
 ان أسر الي الشياء ان هذه النواص وبن تك لا تحلو من البيع فهي لا
 بوهو حال البلاد لان لاهه غير مذهب له فصلاً عن انه يؤدي الي
 نصيد سلطة انشاء وربما كان سسا هي تظويص عرشه ، هذير ذلك هي
 نفس الشاء وب ، يغير معاملته مع السيد جمال الدين ونم يست ان نكل
 عن قبول الدستور الذي قدمه له جمال ، الذي رأى فيه ان اجل هارن

أوسع سيطرة من الشاه بمجدهم النحاس . فقال الشاه للسيد جمال :
 « يصح أن أكون وأنا ملك ملوك الفرس كأحد «الصلاحين»؟ فقال
 جمال : « نعم يا حصرة الشاه أن تاجك، وعظمة سلطانك وقوائم
 عرشك ستكون بالحكم الدستوري أعظم مما هي الآن والفلاح والعامل
 والصانع في المملكة يا حصرة الشاه أسمع من عظمتك ومن أمرائك،
 وسمح لأحلاصى أن أؤديه صريحاً قبل هوان وقتك لا شك - يا عظمة
 الشاه - أنك رأيت وقرأت عن أمة استطاعت أن تعيش بدون ملك، ولكن
 هل رأيت ملكاً عاش بدون أمة ورعية؟ »

ولكن هذا لتحديث الصريح من جمال جاء مصداقاً لما وشى به الصدر
 الأعظم وحواف الشاه منه إذ قال : « إن ما يسهه جمال الدين من القوانين
 لا يمدد البلاد شيئاً، ولكنه سرع سلطان الشاه منه، ويعطيه تسوية
 وصلاحين،

فلما رأى جمال الدين ذلك وشعر بتغير معاملة الشاه له، وأحسن
 الدلائل التي توهمه في طريقه، استأذن الشاه في السفر إلى بلدة شاه
 عبدالعظيم، هادئ له وما كان التمهيد جمال يصل إلى الصريح حتى تبعه
 جم عفير من العلماء والأدباء والنوحياء والعظماء، واستمروا يحتفلون إليه
 في مقامه ذلك بمأوضوبه هيماً أشربته فتويهم من أمر القوانين
 والأحكام، وكان هو يحيط فيهم ويستحثهم على إصلاح حكومتهم، فلم
 تمض ثمانية شهر على مقدمه بهذا الصريح حتى دأبت شهرته في
 أفاضل بلاد الفرس، وشاع بها عزمه على إصلاح إيران وكان لهذا
 الخبر وقع حسن في جميع أطراف البلاد . بقي السيد جمال بلاقي
 تلاميذه ومريديه كل صريح وكل مساء ولكن منع عن مواصلة اجتماعاته
 بمحبية وأحلاصه بهم مرض أصابه، وروحه المرش وكان الشاه قد
 بحرف عاقبة سلطان جمال، فوجه إليه حمسة هارس مدحجين

بالسلاح، فقبضوا عليه وهو مريض في فراشه، فقدوه جميعون هرسا
منهم مكبلا بالحديد إلى «خاضعين» على الحدود العثمانية مميدا، هذا كان
من الشعب حين بلغه حدث القبض على السيد جمال، إلا أن صار في
هرج ومرج شديدين فانتشرت انشاعات وكثرت الرسائل والمطبوعات
وتزايدت على الشاه كتب يحذرونه فيها من أمرين لا ثالث لهما

١ - إما أن يعزى على مقترحهم.

٢ - وإما أن يلج بنفسه عن الملك.

ولم يكتفوا بهذا بل اشتد ثورتهم، وطرح بهم انعصامه فبلغ بهم الأمر
أن حاصروا الشاه يوم في قصره

وبعد إلى جمال وهو على الحدود العثمانية، وقد تصدقت عليه العلة
سبب اشتداد البرد عليه هي تلك السيارة فدخل إلى البصرة

جمال الدين في العراق

سافر السيد جمال الدين إلى البصرة لما أشد عليه المرض وبقي هناك حتى أبل من مرضه ودب فيه ديب انقاية بقي في البصرة هذه مدة وهو يدكر الشاء بكل سوء ولم يعمه مرضه من أن يعمل صده

وهي هذه الصخرة قلت مصادر لال في البلاد الإيرانية، ويصب مدينها لما كان عليه انشاء من انكبات على الشهوات و سراف طائل في اموال ارضية التي كانت تدفع من دماشه واصبح الشاء في حنيح واصطرار شمس إلى لال، فأخذ يتاجر بحقوق امته همدغ بسارون، بوليس لوتري، سنة ١٨٨٩م حق تأسيس بنك شاهنش يراس وحق إصدر «الملك موت» باسم الدولة، وباعة حق منحراج ابعاد واسرف الشاء هي منح الامتدات ويبيع حقوق اسلام، وقد شجع المسير «البوت» فأخذ حثكار التماك في مارس سنة ١٨٩٠م لمدة خمس سن سنة بشروط بحصة تعود كلها على المحتكر وعلى حلاله الشاء

ساعتد صمد به جمال ووقف مجهود علي صرب الشاء من تلك الحنية، فعلاً الصحف كتبة وابتنياط خطنة، ثم عهد إلى ارسال خطاب إلى كبير مجتهدى انشعبة «نحاج ميرزا» محمد حسن الشيرازي «عدّ فيه مساويئ الشاء واستنلاء الغنه علي عقله، وشرح فيه مصار

امتدح شركة التماك الذي يعضى بأسيار الأحباب بأهم محصول بلاد
العجم، فكفى هذا الخطاب من أكثر الأسباب التي دعت رئيس الشيعة أن
يصدر فتواه التي أفضاها بطلان هذا الامتدح

وعلى أثر ذلك تقدم العيب من الأحرار والعقلاء بالصح والرخاء بالشاء
للعقول عن التصريط في حقوق البلاد فهم يسمع الشاء لهم يصح من
أحد يعتقل الرصماء ويصططهدهم ويسحبهم هرسن حجة الإسلام
المرحوم الحاج ميرزا حسن شيرازي المجتهد الأعظم إلى شاء كتابا فيه
ما فيه من التحدير وأن أعطى لامشاراب وسبع حقوق الأمة للأحباب
من الأمور التي يحرمها الدين وبأنه اشترائع واقفون وما يش
المصلحون والأحرار من صلاح الشاء أهني حجة الإسلام اميرزا
حسن شيرازي فتواه الشهيرة بحرية اسماءك فاجب لأتريسيون جميعا
دعوة المجتهد الأعظم وهي صدقة عين اطعوا أمره ولو ساءه ولم
ترددوا بحظه، أهني شاء تعلمهم بمعتب بـ وشعهم الشديد بتدحيه هي
اساز حريا على عاديهم هم محزون اشباب اقبلت أبوابها وأبي المتعهدون
بيعه ومنتع اطالبون والمستهيكون عن شرائه، وعمد كل مدح إلى
بارحيته ههشمها وإلى ماعده من التمثيل ههده قصيد وهي جميع
ليوب والأكواخ وحتى في قصر الشاء نفسه لم تكن لنرى مدحنا وأحد
اميرزا كان وحقير، حتى أن الشاء نفسه طلب صباح اليوم الثاني للفتوى
التي صدرت بالتحريم، وهو في مجلس من ورائه بارحيته ههدهم إليه
رئيس الحدم صدهشا معتبر، وقال للشاء

لقد صدرت يا مولاي فتوى حجة الإسلام بالتحريم فلم تقم هي
انقصور الملكية بارحيلة ولا نمباكا

فصعب الشاء وقال : وهل استأذنت مولايك قبل الإقدام على ذلك؟
هناك رئيس الحدم (مشاعة وسكور) لقد أمر الشرع فلا حاجة بنا
لأستئذان السلطان!

وهي أوامر ديسمبر سنة ١٨٩١م أصدرت الأمة حكومة الشاء بضرورة
إلغاء امتياز التمباك، وإلا فيقع بالأجانب أعظم ضرر. ولجأت الحكومة
للسانن وسائل الحيلة والقوة والتهديد وإبداء الرعساء، فلم تفلح، وهدد
الشاء بنفسه مقام المحتجهم فلم يردد المحتجهد إلا تعسك بمواء

وهي أوائل يناير سنة ١٨٩٢م أزعج الشاء وحكومته الرغبة الأمة وتم
الامتناع بين الشاء وشركة الاحتكار علي بطلان الامتياز الممنوح للمستتر
تالوت، فكانت صدمة مؤلمة للمود الإنجليز في إيران

لقد كان في حادثة احتكار التمباك الإيراني درس باع عظيم لأوربا
دات المطامع الشعبية ،لتي أطلقت لنفسها العنان في الشرق تسلط
جبراته وتنتهب طابيه وتدنس بين أهله أسباب الشقاق والصرف والتماني
لتنمك من نصب شعاكه وتتنظم بالصيد وتنطش بالمريسة، والشرق
عنها عدل لاه بصعائر الأمور.

بمع لقد كلف بطلان امتياز التمباك أهل إيران الشيء الكثير من
النفس والأموال ودفعت لسداد لشركة الاحتكار «تالوت وشركائه»
نصف مليون جنيه بموينا، ولكنهم مع ذلك كسبوا الحياة التي دبت في
نفسهم وهيأتهم للنهضة المنظمة التي قاموا بها في سبيل حريتهم

وبهذا أنقذ السيد جمال بلاد إيران من احتلال الإنجليز لها بإبطال
مقدماته وهو امتياز التمباك وقد ظهر الآن تأثير مود طائفة العلماء
في بلاد فارس بما كان من قلب نظام الحكومة وتحويلها عن الاستبداد
المطلق إلى الشورى

ولكن اسعد جمال لم يشف عليه بهذه الحركة وحدها، ولكنه احد
يعمل على خلق الشاء واستقاط حكومته بكل وسيلة ممكنة . وكان هي سته
أن يعمل وراء الشء حتى يقتل .

وبقى السيد جمال الدين هي الصبرة حتى أبل من مرضه، وعاد إليه
كامل صحته، فما شعر بهذا إلا وشد , حاله إلى سن .

جمال الدين في لندن للمرة الثانية

ذهب السيد جمال الدين إلى لندن للمرة الثانية، وقد أسس هناك مجلة شهرية كان يصدرها باللغتين الإنجليزية والعربية، سماها «جيبان الحافيين» ملأ صفحاتها بما كان يكتبه في أحوال فارس ومصر من مقالات فيها حرارة وفيها إقدام

كان هذا أسلوب الحكيم وحده وهذا عبث الصبي بمفرده. هذا بعد الشدة بأية فيه، والثورة بأية حدها في نفسه

نعم بهذا كان السيد جمال يكتب ويهدا كان يحفظ

وما كان من الشدة عند علم بهذه المقالات إلا أن أرسل إليه صغير يزار في لندن راجعاً منه الكتب عن الكلام والكتابة في حق إنشاء وحكومته. واحد مسترخصه بكل ما يمكنه، حتى أراد أن يستميله جمال كثير فدمه ليه فما كان من السيد جمال إلا أن رفض باياد وشمع

جمال الدين في الأستانة

لم تطل مدة إقامة جمال الدين في لندن هي المرة الثانية، إذ ورد عليه خطاب من «الباب العالي» بوساطة «رسم باشا» صغير تركيا في لندن يدعو فيه إلى الأستانة فاعتذر السيد بحجة أنه في شأغل وقتي لإصلاح بلاده، فتعددت عليه الكتب وشددوا فيها الدعوة وسألوا في امرحاه، فعاد كندس . أحضروا إلى السفير «رسم باشا» والأحر للسيد جمال وهيبهم من الشاء وتحريض ما جعل جمال الدين يعدل عن الرهص ويحيي الدعوة وقد تضمن كتاب السلطان إلى «رسم باشا» هذه العبارة «لا يفضل حلاله عبدا إذ لم تقبوا جمال الدين بالمجيء إلى الأستانة ليقبله، ثم يعود بد شاء» فاجب بوساطة السرى «تفرهيب» أنه سيتشرف بمقابلة جلالة السلطان ثم يعود.

فذهب إليها سنة ١٨٩٢م، وكان في ميته أن لا يستغرق هناك أكثر من أيام ليعود إلى خريسته وحصل الاسبابه فاستقبل من العلماء والساسة استقبالا حسنا، وكان في انتظاره «بور» السلطان، فلما وصل سأله أين حقائبك بحضرة السيد؟ فقال «ليس معي غير حقائب الثياب وحقائب الكتب» فطلب «الباور» أن يده على مكانها لعمل على الأمر بحملها، فقال السيد «صناديق الكتب هنا وأشار بيده إلى صدره وحقائب الثياب هذه» وأشار إلى جيبته، ثم قال «كنت أول عهدى بالمدى استصحب حبه ثابة وسراويل ولكن لما توالى المي صرت استقبل الحبه

الثانية هاترك انى على حتى ثلى هاستنداه معروءه ، لاهى اسند من لىلصاى عظمى ساميا هقويه السلطان واحد يتباحث معه فى شئون لدولة وفى حال الاسلام وكس الحفوة السابعة انى قبول بها السيد جمال تر عظيم فى نفسه ، معرم على البقاء فى الإنسانية املا ان يرشد اسلطان اى م هيه اصلاح لدولة العثمانية وامالك الاسلامية وزهفة المسلمين ، تحييصهم من يدى الولاة الطالين هاعبد له السلطان عبد حميد قصرا فاحرا مؤسس بأجمل فراش فى «شان طاش» وهو من ارقى احياء الأستانة ، ورتب له مكافاة شهرية قدرها خمس وسبعون بيرة عثمانية فى لشهر .

قدى اسلطان اسند جمال بهدء الحموة لىظهر امام العالم لاسلامى أنه يرعى العلم والعلماء ويحترم المصلحين والمفكرين

انقصت مدة وجمال الدين حطى عند السلطان ، ولكن لم يلبث الاستاذ الصادى ان وجه عليه حملاته عند مولاء حقدا عليه ، وخوف من ان يبرله مولاء تلك المبرلة الى هو هيه هسدفع يتهم جمال الدين بالكفر «الردة كما هو المبع فى نقص قدر الحكمة ودرعاه» كما تناول بسدح كل من «اس اسيد جمال اندى وشبهه فى «هكاره عتل اسيد «فصل اىلوى الحصرى» «مير «ظمار» و شيخ «طاهر» لندى لىرايسى» شيخ الشاذلية وهف ، كان من لقربى لدى اسلطان

وهف انهم به اسند جمال قويه صرة ان اصوف بهشجر السدر طوف بحجج بالكفة هعبر جمال عن براءة ذلك المكان بمصره شمعية ، ولدى ان لهدى صر انه له استنسط منه الحاد وكفر وكس حواسم اسلطان فى ريب هعبد براهقون جمالا فى جميع حركاته ويخصون عليه كل صغره وكسرد وهف بوى فى هان اسند ان اسيد جمال هصبع بالمسيد حاداه بديم فى صترء الكف حاداه وهنلا الحد يو

يكف بالقد عن الشاء، فكثيرا ما كانت تستولى على السيد حدة اعصب
 وثوره التمس، وهذا لعمدة الادم يقول عنه «وكثيرا ما هدمت الحدة ما
 هتمه البطنة، ففى أحد الأيام 'رأه أن يرسله السلطان إلى أورما هي أمر
 سياسى ثم عدل عن ذلك فأراد مخالفة السلطان ففيل له به مشغول،
 فقال لا أعود إلى مقابلاته ثم طلبه السلطان للمقابلة فامتنع وقال
 هذه بتلك، ولما أقسمه بكثرة أعمال السلطان وفيدته بالمر عيد ذهب وفاس
 السلطان، ولقد كان السلطان، إذا أعصب السيد جمال فعمل يرضيه
 بالقول وحسن المعاملة، ومن ذلك أنه لما وشى سعادة السوء بأن السيد
 أفشى سر السلطان إلى مكاتب اتيمنس، وكان قد رآه كعا وشو إليه
 بأن السيد عمده (ديناميت) وأنه يحضر السلطان في مجالسه، فأمر
 السلطان بتمتيش رآه فعصب السيد وذهب إلى سعادة الإنجليز وأراد
 أن يسافر من الأستانية فاستحضره السلطان بعد ذلك وقبلة وقال له
 (الامرق بيى وببك الا انقصاء المحتوم)، وأشي عليه بخدمة الاسلام
 وهال له (أحب أن أحمل وطبك الاستانة ، لا وطن لك) وعرض عليه
 أن يروحه هابى، ثم أرسله هي رورقه الذى ينزه فيه هي بحيرة «يلدز».

وهي مرة أخرى كان السيد جمال طلب من السلطان المصرى هي
 الأسمدة زيادة راتيه، فوعده السلطان بمصاء ذلك، ثم أسسه أعبدوه ،
 فعصب جمال وطلب مقابلة السلطان هاذي له، فاستحوه السلطان عن
 سبب طلبه المقابلة فقال السيد جمال «الاشيء سوى أس أتيت لأسميح
 جالاتكم من أن تضيلنى من بيعتى لك لأنى رجعت عنها» فاستمع
 السلطان واحتر هذا السيد وقال يا سيد جمال هل فكرت فيما تقول؟
 قال نعم، بايمنتك بالحلافة، وبحليفة لا يصلح أن يكون غير صادق
 الوعد والأمر هي يده. فقال السلطان سبحانه الله أن أمرا طعيما مثل
 هذا يحملك على نقص البيعة! أما كان يحسن أن تلتزم إلى غير، بكثره

مشاعل السلطنة، ويذكرني هل بعض السبعة؟ ثم اصبر امرأ شديدة سابق وعده

بى السعد جمال الدين بالأسدية معطفا بالحواسين مراقبا هي كل عدوانه وروحاته حتى انتهى به الأمر إلى أن يسجن في قصر من ذهب ومع بأمر من السلطان من الاحتياط بأحد ومقابلة أى شخص إلا يذن خاص وهبهات أن يقال الإذن، وهذه خطاب من الشيخ معهد عنه كفته بطريق الكتابة والتعريض ولم يصح إسماء هي آخره حشنة مراقبة البريد، فعصب السعد وعاديه عماليا شديدا هي خطاب أرسنه إليه هذا بعض منه، بعد الدعاء له بتشيت، الحاش

تكتب ولا تمضى وتعدد الأعمار؟ من أعدائى؟ وما الكلاب كثرت، وقلت؟ لك هي أفاق مكشورة لا يميز فيها لحيث من الطيب ولا الشريف من البرمهم، ولا الأنبي من الكهن وأقامت الموت ولا يفسك الحذر من لأول، ولو كنت حريصا على مقامك ولا سحبك الخوف من الناس هلا يصيق على نفسك، فكن هيلسوها يرى العالم، لعوبة ولا تكن صيبا هلوعدا

مرضه ووفاته

بقى السيد جمال الدين أشهراً على هذا الحال في قصره محجوباً في سجنه لا يحتلط به أحد، حتى ظهر في حركه مرض السلطان وقد أخذ المرض يتزايد عليه. ويشتد يوماً بعد يوم. فأمر السلطان أن تجرى عملية جراحية للسيد على أن يقوم بها كبير حرر حتى انقصر ففاصت روحه الكريمة إلى خالقها حل شأنه هي ٩ من مارس سنة ١٨٩٧م

نرجع الى مرض جمال وكيف أصيب به؟ ومن أين أتى له وهو محجور في قصره؟ ولم تقصر إجراء العملية على طبيب السلطان الحبس؟ ولم منع أصدقاء الأضياء الغاليون من عيادته؟

فقال بعض أساس إن العملية الجراحية لم تعمل على «لوحه الألم» لها عمداً. وقيل لم تلحق بالتطهيرات الواحية عمداً

ولقد تحدث «الاول استورج» إلى الأمير شكيب ورسال بأن السيد جمال دعاء بعد إجراء العملية الجراحية الخاصة. وأنه رأى حاله ازداد شدة بعد العملية. فرجا منه ان يرسل إليه جراحاً فرنسياً مستقل الفكر طاهر الدمة لبراء عقب العملية فأرسل إليه الدكتور «الأردى» هوخذ أن العملية لم تضر على وجهها الصحيح. ولم تعقبها التطهيرات اللازمة. وأن المريض قد هلك بسبب ذلك. وعاد إلى (استورج) وثنأ بهد الأمر المحزن. وما مصت أيام حتى هارقت روح جمال جسده.

ولقد تحدث أيضاً إلى الأمير شكيب إرسال أحد موظفي قصر

السلطان عبدالحميد بأن (فكتور زاده اسكندر باشا) كان يظهر واشهر من أن يرتكب مثل تلك الذنوب ولكن كان رجل عمو في اسمه (خارج) طبيب أسنان كان يتردد على السيد جمال، ويعاين له أسنانه، وكانت نظيره الصابونية قد استماعت (خارجا) هذا بالذراهم وحفلته جاسوسا على المترجم، فصار له عدواً في ثياب صديق، فأردت مرة أن أضع خارجاً من الاحتياط بجمال الدين، فأشار إلى ناظر الصابونية إشارة خفية بأن أتركه، وذهبت من الإشارة أنه يذهب إلى هناك ويطلب أسنان اسيد يعلم من النظارة والسيد لا يعلم شيئاً من ذلك، ويستخلص خارجاً ويثق به، فلا أعظم ماذا فعل خارج بواسطة طيه وثقة جمال الدين به، إلا أنه لم تمض فترة ظهور مرض السرطان في فم السيد من الداخل، وأحدثت له عملية جراحية فلم تتججج، وخارج هذا، كان ملازماً له.

وبعد موت السيد كنا نرى خارجاً حزيناً كئيباً كئيب المال وأحم الوجه مما جعلنا نشبهه أن يكون ذا يد في إعياد الحرح بعد العملية أو في توليد المرض نفسه من قبل بواسطة من الوسائل

والجيلة فقد مكث السيد جمال جميع سمات هي الأسنة بين مظاهر عظم السلطان ودم رجال القصر وكثيراً ما شعر السيد بهذا الدس وطلب التصريح له بالسمر ممنوعه بظواهر المحبة وبأمن التعذيب، ومع هذا لمجد العظيم وتلك الحياة المراحرة بالأعمال الجيلة تناولته «باحقون» بالطمس، وتناول نفسه هو بالتقصير، إذ لم يكن - مع كل هذا - رصنا عن نفسه كل الرصاء، ويعتقد أنه لم يزل مأربه في حياته بموت شهيداً، يتحلى ذلك كله هيما أحداً به من قال له أن بعض الأصدقاء، وجورج زيد - وهو من محبيه على البعد - يربحون في الحصول على ترجمة حياته لنشرها في صحفهم بقوله «إن البيان لا يحتاج إلى ترجمان، قل لهم ما قاله فلان عنى، إنى ثارت متشرد قائم هي

لأرض فلما قيل له لا يسعني للأستعداد الحكيم أن يمس على أهل عصره بما يصعبهم ولا يصرفه. قال وای نصح لمن يذكر أنى ولدت منه ١٢٥٥م وعمرت أكثر من نصف قرن، واستطورت لترك بلاذى «الأفغان» مصطربة تتلاعب بها الأهواء والأغراض، وأكرهت على مبارحة الهند وأحسرت على الانشغال عن مصر. أو إن شئت قل نصبت منها ومن الاختناقة، ومن كثر عوادم الأرض كل هذه الأحوال حادطرات لا تسرى وليس فيها أدنى فائدة للقوم. وأما القول بأنها لا تسرى لا بمعنى أنى نصبت من البلاد أو سمجت، كلا لأمى اعتقد أن السجى يطلب الحق من الظالمين العتاة ربيعة، وأنصى هي ذلك السجين سيادة واقتل شهادة، وهى اسمى المزاب. فأت عن بعض غير راض، ذلك لأن الجبول قد فقد بن فلم يوصلنى إلى مزاب الشهداء، وحظى فى مصاف المصبيين من أرض إلى أرض والمسحوبين فيها فما أمدنى فى كل هذا عن أولى المهم، ومن قام بالأعمال الخطيرة أو الطلب التحل

ههنا جمال الدين وقد عرصب عليه الوظائف الكثيرة و لمزاب البرهيفة عرصب باباء وشعم، وكتم قدمت له مباحث الشرف والكمال، فامتج هى كبرياء وعرة.

نعم مات السيد جمال ولكن سرعان ماأحد قصه ونكرته حكومة تركيا، مما جعلها تامر بدفته من غير احتمال أو شيبج، حتى أنها أصدرت أمرا سلطانيا إلى الصحف التابعة للدولة العلوية بالآ تكذب فى شأنه شيئا وتكتمت خبره على الصحف، بل صادرت الحكومة فى سوريا جميع الجرائد المصرية والمجلات التى شته

دعى السيد جمال فى مصرية مجهولة بالقرب من «شبان طاعشر» ونقبت تلك المقبرة مجهولة لا تزار ولا يعرفها أحد، أو لم يبحث عنها أحد. وسى هذا الرجل الذى وهب حياته لمشرق عامة والإسلام خاصه

إلى أن أصبح باحث عن المقبرة رجل من أمريكا وهو (المستر كرايز) هاهتدى إليها سنة ١٩٢٦م، فحددها أحسن تحديد و قام على خفرته شاهداً جمعاً من الزحام وهد بفش عليه اسم السيد جمال، ولقد كلف هذا مبلغ عشرة آلاف دولار، هادى بهذا وأحب على المسلمين بل على الشرقيين عامة.

ولقد اتاحت لي الظروف أن ألتقى مع المستر كرايز هذا في منزل احمد شبيب في شتاء عام ١٩٣٥م بمدينة حلوان. ولقد تحدثنا عن السيد جمال وقدمت له أسامي عبادات الشكر والثناء على اهتمامه بنقل رهبته ورحم الله السيد جمال لقد كان شعلة اتقدت لإيقاظ الاسلام وصورة من الإخلاص بعثها يارئ الكون سنترك أثارها العظيمة الإصلاحية التي ما رلنا بعدها في كل حركة مباركة تعود بالحبر على الإسلام وأهله في جميع الأقطار

مشرية الدينى

كن اسيد جمال الدين مؤمنا صادق اليمان موقفا انه على حق ومن من بالحق لم ترعجه قوة مادية مهما عظمت. ولم تصغصمه كل قوات الباطل وإن اجتمعت - بدعم عقيدته الإسلامية على أسس المنطق والحكمة العقلية، يناقش لأحكام العقل، فإذا به يفرها مؤديا كل ما امره الله به، لا يصرط فيه قيد شعرة مطيعا لله ورسوله، والأئمة المسلمين درس المذاهب دراسة واقعية فالتبع المذهب الحنفى مع مراجعة الكتاب والنسبة الصحيحة

وقد قال عنه الإمام محمد عبده:

«أب مذهب الرجل فحنفى، وهو - وإن لم يكن فى عقيدته مقلد - لكنه لم يشرق السنة الصحيحة مع ميل الى مذهب العادة الصوفية وبه مواطنية شديدة على آراء المرائضى فى مذهبه وعرف بذلك بين معاصريه فى مصر أيام إقامته بها ولا يأتى من الأعمال إلا ما يحل فى مذهب إمامه فهو أشد من رأيت فى المحافظة على أصول مذهبه وهروعه . أما حيمته الدينية فهى مما لا يساويه فيها أحد، يلهث شهرة على الدين وأهله ومع هذا فإنه كان يستجيز من الفاضلين بسب باب الاجتهاد، فذكر فى مجلسه يوم قول القاضي عياض على أنه حجة يستند إليه، فقال جمال الدين يا سيعار الله ر. القاضي عياض قال ما قاله على قدر ما وسعه عقله، وتناوله فهمه، وبأسب زماته

فهل لا يحق لغيره أن يقول ما هو أقرب إلى الحق وأوجه وأصح من قول القاضي عباس وعمره من الأئمة فقالوا له: إن هذا لا يكون مع القول بسد باب الاجتهاد، فعصّب وقال: ما معنى أن باب الاجتهاد مسدود، وما معنى سد باب الاجتهاد. رأى إمام قال لا ينبغي لأحد مني أن يجتهد لينصفه بالدين إما أن يهتدي بهدى القرآن وصحيح الحديث أو أن يجد ويجتهد لتوسيع مفهومه منهما، ولاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم المعاصرة وحاجيات الزمان وأحكامه على ألا يماهى جوهر النص ثم قال: لا، رتاب بأنه لو فسح هي أجل أس حيلة ومالك والشافعي وأحمد وعاشوا إلى اليوم لداموا مجتهدين مجتهدين يستنبطون لكل قضية حكماً من القرآن والحديث.

الطعن في عقيدته

من سى الكون أن يكون لكل إسم فادح ومادح، على أن العلماء
الأحلام، وخاصة الموزين في الماحية الأدبية هم أكثر الناس أعواناً من
العامية وغير الدينيين، وأكثر الناس أعداء من العلماء ورجال الدين

ما أعوانهم ومحبوهم فلعلمهم وفصلهم وسعيهم وجهادهم، وأما
خصومهم فلأنهم سيطمروا في ميدان السبق ويموقون أعداءهم وروح
انسانهم بينهم قوية شديدة وأقرب شيء نطعن به العلماء على الرجل
الديني لدى مرر في ميدانهم هي عقيدته، فسرعن ما يوصف بالإلحاد
والزندقه فلا ذب للعامية إذا وهم شتمون علماهم بدون مناقشة في
الرأى ولا مجادلة في الطوبى إذا همموا هذا على أنه حقيقة ولا عيب
عليهم إن هم بدوا ما يدعيه ذلك الجيل من حكم وحواهر علمية

هذا إن تمكن العلماء من صمم العامة اليهم أما إذ كان ذلك الخصم
حرشاً شجاعاً مداناً قوى الحجة منطلق اللسان فعامية معه والحاجة
تأصده، ويبقى العلماء وحدهم لا يعرضهم إلا إجماعهم في مصيبتهم
الدينية

وقد روى الجاهل ابن عبد البر وغيره عن ابن عباس رضي الله
عنهما وعن بعض كبار السلف كمالك بن دينار انتهى عن سماع كلام
العلماء بعضهم ببعض، وتعليقه أنهم أشد تعديراً من سائر المخلوقات
حتى قال بعض الفقهاء بعدم قبول شهادة بعضهم على بعض.

وهذا السيد جمال الدين ألقى في عتول الناس وجوب اسبحث وبمهم
لنهم، واشتت أن شعوب المسلمين ليوم غير م كانت عليه بالامس وهذا
بعدم فهمهم الدين على وجهه الصحيح - فكان ذلك طبع صريح في
العلماء وماهم عليه من انهم فلم يبق عندهم إلا الطعن على
مصر هذا

وما قيل في الحكيم المحدث من انطعن اليهم الذي لا يعرف له قائل به
قيمة لا بعد شيئا في جانب ما قاله العلماء المتقدمون في الامام ابن
الحسين لأشعرى، والامام ابن حزم وحنة لإسلام العراق، وسنج
الإسلام ابن تيمية والامام ابن خزيمة والعالم ابو محضن، وغيرهم

٦ اداع العلماء خلافه على السيد جمال الدين الافغاني من ناحية
عقيدته هل هو فيلسوف إلهي م مسنم أم فيلسوف مادي معطل ولقد
بعض الامام محمد عبده لأشخاص هذه التهمة أكثر من مرة، ويمثل هذه
ليادئ استعجفة وكلمات لحرية اصلوا دعوم ووضعا عقائدهم
في حصونه دعه مع الحقائق العلمية وحنوا على الاسلام حناية
كبرى ظهر أثره في الانعطاف السياسي والاجتماعي الذي كانت
فيه لامة حين ذلك، وإذا قام مصلح أو مجدد بتكلم باسم الحكمة
و دعوم العقلية وبحت على النظر وبهى عن التقليد ويدين مصدا الجمود
كان بال م يسرعون به فيه بمرندفة وإبهامه بوهي العقيدة وقد
يصادف ذلك هو في قعدة من يعيلون إلى التعطين فعلا فيسعون ما
يسمعونه من هذا لصين يرون تثبت دينهم على أن لا عنه إلى الناس
لأن من احب شيئا حب ال يدي كبار الرجال شركاء له فيه ولهذا صدر
لأمام رساله لرد على الدهريين اسر ندم لكلام عليها بقوله

«نحننا على ذكر شيء من سمرة هذا الرجل م مراد من خلافه م
م مراد وبمبارك هو به في حصنه حده حتى كاه هو ر حده

قامت هي كل دهن بما يلائمه او حقيقة كلية برلت هي كل عقل بشكل
يتناسبه، والرجل على صماء جوهره ودكاء محسره لم يتقوله وضع
الواضعين والاحذر الخراصين إلخ،

والقد قال عنه ابنكاتب التركي محمد عاكف هي مصال بشر بحريته
شورى التي تصدر هي أوريسورج

ومن تعجب فعجب نعت خيرة رجال الإسلام بنعت سموت مثل جمال
اندس الأهغاسي، مع أنه هو وتلاميذه المعروفون وحدهم بالمداهمة من
الدين الإسلامي، وهم أنفسهم لمحتدون هي ترقية سية تزيينهم ترقية
صحيحة وهو الذي اتفق عمره اثنان بينهم بأمته من خصيص اندل
لي اوح انور ويؤيدها للجهاد هي معتزك هذه الحيدة ببحر حوا من أسو
امثلة والاستعداد

إن جمال الدين الأهغاسي رحمه الله، صدقت عليه لأرض بما
رحمت سواء كان في الأهغاس أو فعلم أو تركيا أو أوربا ولم يسمح به أن
يعلم في إحدى هذه البلاد بهم البال مشروح المصدر ولو كان من محبي
لحال والجهاد والمناصب العامة لترك ما اصطهد لأجله وهو خدمه
الإسلام الحنية وإشاء المروءات اساهقة للعالم الإسلامي

ولد حول إيفاط، لمسلمين من يومهم العميق المؤدى إلى يوم الأبدى
رسم يصعب المنهات من مثل برشاد جمال الدين نعم لو أن جمال
الدين ترك خدمة الإسلام وثبتت بث أفكاره في العالم ولم يعمل على
يقطعهم الأنهات عليه سجد الدينسر ولكن موضع الاحترام وصاحب
لخدم الذي لا يزوم هي جميع سلاذ ولكن تلك الروح العالمة والازارة
لقدوة و النفس لسانية لم تزل به هي هذا الشخص - شخص المحدث
لراثل - هما رال مشهورا عن ساعدت الحمد محبها المروءات مقصده

الحيرية، يصارع الأيـم ويكـاـمـح اسـوـاـثـب عـيـر هـيـاب ولا وحـل، ويثـبـت هـي
موقـف يتعـدـر عـلـى عـيـره الوقـوف هـيـه حـتـى صـح أن يـقـال عـنـه إنه كان
شـهـيـد ، هـي حـيـاتـه، وصدقت عـلـيـه عـبـارة كـمـال بـك اـتـرـكـى ،أـحـسـر شـيء
واـحـصـله هـي هـده الدنيا أن يـكـون الـإنـسـان شـهـيـداً هـي حـيـاتـه».

مشرب جمال الدين السياسى

ام هو من الناحية السياسية فقد كان صاحب عقيدة وفكره وهى الجماعة الإسلامية، هو عب نبيه للإسلام وطاف البلاد معتبرا الإسلام وطنه فى أى بلد كان ما دام يدين به لقد حورب وطوزد ومن وشرد وعذب واستهان بكل هذا فى سبيل انتصار دعوته، وكفى كان يوده أن يرى ثمرة جهاده قبل مهاته، ولكن عاكسته الأقدار، واعترب سبيله عقمت جمة من الدول الاستعمارية، وهى مقدمها النولة الإنحليزية التى كان قد أعلن عداوتها، كما أن حكاهم الشرق كانوا فى رمنة مستبدين وكان هو ييمى الاستبداد ورحاله ما داموا يمينين من الإصلاح، فما كان منهم - وهذا مبدؤ - إلا أن حازبوه وعملوا صده وأنطلو، حططه عاكسوه فى فكرته الإسلامية من حيث لا يعلمون، فكان كلما ذهب إلى بلد اسطهد فيها فكم يؤسس أسرة وتم يدحر مالا وما كان يدري بأى مكان مستشرق عليه شمس المد أو تسطع عليه نجوم السماء، أو بأى أرض يموت، فتقل فى أهماستان وهارس وتركيا ومصر والحجار وروسيا والهند صهرها مر عيما وبمح فيها من روجه القوية الثائرة وطاف مدن انحتر، وهرسا وألبان، وأنشأ الجمعدت فى باريس ومكة وغيرها، وأبر الصحف القوية الملتهمة كل هذا لتحقيق مقصده لتوحيد كلمة الإسلام، ولم شمل المسلمين وجمعهم تحت لواء واحد، وكان اسيد جمال

يرى الإسلام سياسة رشيدة ودينا عام خالدا للجميع و به هو الوطن
الحقيقي للمسلمين، لهذا يقول براون

«إن تاريخ السيد جمال الدين هو تاريخ المسألة الشرقية كلها هي
الأرض الحديثة، يدخل في ذلك تاريخ الأفغان والهند وتركيا ومصر
والبر»

وقد قبل الأستاذ الامم - به كان يسمى لأنها من إحدى الدول
الإسلامية من ضعفها وتبنيها للقيام على شؤونها حتى تحقق بالدول
الصوية يعود للإسلام شأنه ولدين الحبيب محمد ويدخل في هذا
تكميل دولة بريطانيا هي الأقطار الشرقية وتلخيص ظلها عن رؤوس
الطوائف الإسلامية وله هي عداوة الإبحار شؤون يطول بياها».

وقد قال عنه براون أيضا

«إنه كان فيلسوفا وكاتب وحظيا وصحفيا، لكنه كان فوق ذلك
سياسيا وكان في نظر المعجيين به وطنيا عظيما، أما حصومه فكانوا
يعدونه مشاغبا خطرا».

خاتمة

إن نواحي العظمة هي الركن كثره جد لا اطر كانا يستطيع أن يوهيها حقها .

وبالجملة فقد كانت حياته سلسلة جهاد موهو وكفاح مثمر وعمر منتج ودرس مفيد . حياة حثيثة ممتعة لها من الآثار الجيدة ما لا سيول إلى المعالاة هي تقديره .

نعم كان السيد جمال باعث الإصلاح في قريه فكان يحول مفكره في ميدان من ميدان الأطراف . ويتناول في مباحثه خطير الشئون . ويقف جهود على ما يهم البشر من المصالح

والواقع أن السيد جمال انبى كان مة وحده . وكان مجموعة من الحكماء و الفلاسفة والمصلحين و العلماء والساسة

فبدأ مذكراته لكم او عرضهاكم به ههنا بعرفكم بمصالح ديس وفلاسوف حكيم ورعيم سياسي . نعرفكم به وقد جمع بين أوثك الصغات في وقت تعرف فيه الكلمة واشتد الظلم وبدر الصير

ومضاري القول فين تعرض اندي كان يصوب نحوه السيد جمال أعماله والمحور الذي كنت تدور عليه آماله «توحيد كلمة المسلمين» والتدبث هي نفوس أصدقائه ومريديه روحاً منه حركت همهم وأقلامهم فسمع سرق . وسوف يتمتع بأعمالهم

والى أخيرا لأفتخر بالشيد جمال الدين فى الإسلام وأقول -
حسبه عظمة ومجدا أنه فى تاريخ الشرق الحديث أول داع إلى
الحرية وأول شهيد فى سبيل الحرية

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٧	• مقدمة
١٣	• مولده
١٧	• نشأته
٢٨	– جمال الدين في مصر
٤٧	• أثر جمال الدين في مصر
٥٢	– أثره السياسي وتكوينه للعرب الوطنى
٥٩	• جهاده بعيداً عن الوطن
٧	– جمال الدين في أوروبا
٧٦	– انقروة الوثائق
٨١	– جهاد السيد جمال الدين في سيناء السودان
٨٤	– جمال الدين في فرنسا
٨٦	– جمال الدين في روسيا

الموضوع	الصفحة
جمال الدين في العراق.....	٩٢
جمال الدين في لندن للمرة الثانية.....	٩٦
جمال الدين في الآستانة.....	٩٧
• مرضه ووفاته.....	١٠٢
• مشربه الديني.....	١٠٧
• الملحن في عقيدته.....	١٠٩
• مشرب جمال الدين السياسي.....	١١٢
• خاتمة.....	١١٥

